دون اللّه في العالم».[1] ولذلك من وجهة نظر أخرى، من الصحيح بالمعنى الدقيق للكلمة أن الوثني لم يأثم، لأنه لم يأثم أمام اللّه، وكل خطيئة هي أمام للّه. ما يزال من الصحيح أيضاً، بمعنًى ما، أن الوثني سُوعِدَ مراراً على الهروب بلا لومٍ خلال جميع العالم، لأنه أُنقذ من قبل مفهومه الفكري البيلاجياني[2] قصير النظر، لكن بعد ذلك خطيئته هي شيء آخر: أعني هذه النظرة البيلاجيانية السفيهة. من ناحية أخرى، من المؤكد أيضاً أنه إنسان في كثير من الأحيان، لمجرد أن يكون قد تربى بشكل صارم في المسيحية، بمعنًى محدد غُمِرَ في الخطيئة، لأن كل وجهة النظر المسيحية كانت بالنسبة إليه جدية للغاية، خاصة في وقت سابق من حياته، لكن مع ذلك ـ بمعنًى آخر ـ هناك بعض المساعدة له في هذه الفكرة الأكثر عمقاً عن الخطيئة.

الخطيئة هي: أمام اللّه في حالة اليأس لا يريد أن يكون ذاته، أو أمام اللّه يريد أن يكون ذاته. لكن ـ مع ذلك ـ أيمكن الاعتراف بهذا التعريف من نواحٍ أخرى، بأن له فضائل (ومن بين أهمها كونه الكتاب الوحيد، لأن الكتاب المقدس يعرّف دائماً الخطيئة على أنها عصيانٌ) ـ أليس هذا التعريف روحانياً للغاية؟ يجب الإجابة عن هذا أولاً وقبل كل شيء: لا يمكن أن يكون تعريف الخطيئة روحياً أبداً (ما لم يصبح عندها روحياً للغاية بحيث يلغي الخطيئة)، لأن الخطيئة هي بخاصة قيمة الروح. علاوة على ذلك، لماذا افترض أن يكون روحياً للغاية؟ ألأنه لم يذكر القتل، السرقة، الزنا، وما إلى ذلك؟ لكن ألم يتحدث عن ذلك؟ أليست هذه هي أيضاً عمديّة

(1) انظر رسالة بولس إلى أهل أفسس: 2، 12.
(2) انظر:

S. Kierkegaard, IV Bd. S. 300.

مُسبَّقة ضد اللّه، عصياناً، الذي يتحدى وصاياه؟ ولكن من ناحية أخرى، إذا كنا نتحدث عن الخطيئة ونذكر مثل هذه الخطايا فقط، فإننا ننسى بسهولة أن كل هذه الأشياء قد تكون سليمة إلى حد ما، من الناحية الإنسانية، ومع ذلك يمكن أن تكون كل حياة المرء خطيئة، النوع المألوف من الخطيئة: الرذائل المتألقة، عناده الذي يستمر إما بلا روح وإما بوقاحة أو في كونه يريد أن يكون جاهلاً بواجب النفس الإنسانية البعيد والأكثر عمقاً في طاعة اللّه، فيما يتعلق بكل رغباته وأفكاره السرية، وفيما يتعلق باستعداده لسماع وفهم واستعداده لاتباع أقل تلميح من اللّه عمّا تكون إرادته مع هذه الذات. خطايا الجسد هي جموح الذات السفلى، لكن كم مرة لم يُطرَدِ الشيطانُ بمساعدة الشيطان،[1] وتصبح الحالة الأخيرة أسوأ من الأولى: فعلى هذا النحو بالضبط تمضي الحال حقاً في العالم: أولاً يأثم إنسانٌ من الوهن والعجز، وبعد ذلك ـ حسناً، ربما يتعلم أن يصعد إلى اللّه، ويُسَاعَد نحو الإيمان الذي يخلص من كل خطيئة ـ لكننا لن نناقش هذا الأمر الآن هنا ـ فييأس على ضعفه، ويصبح إما فرّيسياً، الذي يشرع يائساً نوعاً من العدالة القانونية، وإما أن ينغمر يائساً في الخطيئة ثانيةً.

لذلك يشمل التعريف كل شكل يمكن تخيله وكل شكل فعلي. في الواقع، إنه يشدد بشكل صحيح تماماً على النقطة الحرجة، وهي أن الخطيئة في اليأس (لأن الخطيئة ليست اضطرابَ الجسد والدم، بل هي موافَقة الروح لها)، وتكون: أمام اللّه. كتعريف هو عدد الحروف؛ سيكون في هذا النص الصغير في غير محله، وعلاوة على ذلك محاولة فاشلة، لو أنني سأشرع في وصف الخطايا الفردية.

---

(1) إنجيل متّى: 12، 24.

النقطة الرئيسية هنا هي ببساطة أن التعريف مثل شبكة، يشمل جميع الأشكال. وكذلك الأمر، كما يمكن رؤيته أيضاً إذا اختُبِرَ من خلال طرح نقيضه: الإيمان، الذي أتحكم طبقاً له في كل هذا الكتاب مثل دليل ملاحةٍ موثوق. الإيمان هو: أن الذات في كونها نفسها وفي إرادة أن تكون نفسها تستريح بشفافية عند اللّه.

لكن هذا غالباً ما يُتَجاهَل. إن نقيض الخطيئة هو ليس بأي حال من الأحوال فضيلة. جزئياً، هذه نظرة وثنية تكتفي بمعيارٍ بشري محض لا يعرف بالضبط ما الخطيئة، وأن كل خطيئة تكون أمام اللّه. لا، نقيض الخطيئة هو الإيمان، كما ورد في الرسالة إلى أهل روما 14، 23: كل ما لا ينبع من الإيمان خطيئة. وهذه هي واحدة من أكثر الأحكام الحاسمة بالنسبة إلى المسيحية بأكملها، أن نقيض الخطيئة ليس فضيلةً بل إيمانٌ.

ملحق: إن تعريف الخطيئة يتضمن إمكانية السخط

ملاحظة عامة عن السخط

إن النقيض الخطيئة/ الإيمان هو النقيض المسيحي الذي يعيد تشكيل جميع المفاهيم الأخلاقية بشكل مسيحي، ويمنحها بُعداً إضافياً آخر. في أساس النقيض تكمن القيمة المسيحية الحاسمة: أمام اللّه، صفةٌ لها تمنحُ بدورها المعيار الأساسي للمسيحية: العبث، المفارقة، إمكانية السخط. وهذا تبين من خلال كل تعريف للمسيحية، هو في غاية الأهمية، لأن السخط سلاح المسيحية ضد كل فكر تأملي. أين، إذن، هي إمكانية السخط هنا؟ إنها تكمن في حقيقة أنه يجب أن يكون لكل إنسان هذه الحقيقة: كإنسان فرد يكون الشخص مباشرة أمام اللّه، وبالتالي، كنتيجة

لازمة، إن خطيئة الإنسان ستشغل اللّه. هذه الفكرة عن الإنسان الفرد ـ أمام اللّه ـ لا تدخل العقل التأملي أبداً. إنه ببساطة يجعل الأفراد كونيين بشكل خيالي في العرق.[1] ذلك كان في الواقع أيضاً سبب أن المسيحية غير المؤمنة استخلصت أن الخطيئة هي خطيئة، وسواء كانت مباشرة أمام اللّه أو لا، فلا فرق. بكلمات أخرى، أراد المرء أن يزيل الشرط: أمام اللّه، ولهذه الغاية اكتشف حكمةً أعلى لم تكن، مع ذلك، بشكل غريب بما فيه الكفاية، أقل أو أكثر مما هي الحكمة الأعلى بلا شك، الوثنية القديمة، في كثير من الأحيان.

كثيراً ما يُتَحَدَّث عن أن المرء ألحق به الأذى من قبل المسيحية، لأنها مظلمة وتضرر منها، لأنها شديدة للغاية وما إلى ذلك. ومع ذلك، فمن الأصح أن نوضح مرةً أن السبب في سخط الإنسان حقاً على المسيحية هو أنها عالية جداً، لأن هدفها هو ليس هدف الإنسان، لأنها ستجعل الإنسان شيئاً غير عادي إلى درجة أنه غير قادر على استيعاب الفكرة. سيوضح هذا أيضاً تطوراً سايكولوجيا بسيطاً للغاية لطبيعة الإساءة، وسوف يفسر ويوضح أيضاً مدى حماقة الإنسان اللا محدودة للدفاع عن المسيحية، بطريقة أُزيلَت فيها الإساءة، وكيف أننا تجاهلنا بغباء أو بوقاحة تعليمات المسيح الخاصة التي حذرت في كثير من الأحيان وبقلق بالغ ضد الإساءة، أي إنه يشير شخصياً إلى إمكانية الإساءة موجودة، ويجب أن تكون موجودة، فإذا لم تكن موجودة، إذا لم تكن مكوِّناً أساسياً أبدياً للمسيحية، فمن المؤكد أنه هراء بشري بالنسبة إلى المسيح: أن يكون قلقاً ويطوف محذِّراً ضدها بدلاً من إزالتها.

---

(1) أو السلالة البشرية.

لو تصورت عاملاً أجيراً فقيراً وأقوى إمبراطور عاش على الإطلاق، وإذا كانت لدى هذا الإمبراطور الأعظم فجأةً رغبةٌ في أن يرسل في طلب العامل الأجير، الذي لم يحلم حينها أبداً بذلك، «ولم يخطر على قلبه قط»[1] أن الإمبراطور عرف أنه موجود، والذي سيحسب نفسه محظوظاً بشكل لا يوصف بمجرد السماح له برؤية الإمبراطور مرة واحدة، وما سيرويه في تلك الحال إلى الأبناء والأحفاد باعتباره أهم حدث في حياته ـ لو أرسل القيصر بطلبه وأخبره أنه يريد أن يجعله صهراً له: ماذا بعد ذلك؟ وعليه سيصبح العامل الأجير بطريقة إنسانية مرتبِكاً إلى حد ما، محرجاً وخجلاً، وسيبدو له وبشكل إنساني (وهذه هي الإنسانية) شيئاً غريباً للغاية، شيئاً مجنوناً، وهو أمر لا يجرؤ حينها على إخبار أي إنسان آخر به، لأنه توصل بالفعل سراً إلى ما قد ينشغل جيرانه القريبون والبعيدون به في أقرب وقت ممكن: أراد الإمبراطور أن يسخر منه، ويجعله أضحوكة لكل المدينة، بحيث سيكون له رسم كاريكاتوري في الصحف، وقصة خطوبته ستباع من قبل الباعة المتجولين. هذه الخطة كي يصبح صهر الإمبراطور يجب ببساطة أن تأخذ واقعاً خارجياً في وقت قريب جداً، بحيث يتمكن العامل المياوم من التأكد بطريقة ما مما إذا كان الإمبراطور جاداً بالفعل بشأن هذا الأمر، أو ما إذا أراد فقط توريطَ هذا الإنسان المسكين وجعله تعيساً كل حياته وإرساله في النهاية إلى منزل المجانين، لأن الحاضر هنا *كثيرٌ جداً*،[2] ويمكن تغييره بسهولة لا محدودة إلى نقيضه. القليل من الإحسان ـ ذلك سيكون له

---

(1) انظر الإنجيل، رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل قورنتس: 2، 9.

(2) في الأصل *Quid nimis*.

معنًى للعامل، وسيكون مفهوماً في المدينة التجارية من قِبَل الجمهور المتعلّم المحترم، ومن قبل البائعة المتجولين، وباختصار من قبل 5 مرات مضاعفة لـ100,000 شخص عاشوا في المدينة التجارية التي كانت حقاً، على الرغم من حشد المواطنين، عاصمةً كبيرة جداً، لكنها كانت مدينةً صغيرة فيما يتعلق بامتلاكها لإدراك وإحساس بالاستثنائي ـ لكن، هذه الخطة أن يصبح صهراً، كان ذلك، بحق، كثيراً جداً بالنسبة إليه. وأفترض الآن أن هذه الخطة لم تتعامل مع واقع خارجي، بل مع واقع داخلي، بحيث لا يمكن أن تزود هذه الواقعية العامل المياوم باليقين، ولكن هذا الإيمان نفسه كان الواقعية الوحيدة، ولذلك تُرِك كل شيء إلى الإيمان، سواء كان يمتلك شجاعة متواضعة بما يكفي ليجرؤ على تصديق ذلك (لأن مثل هذه الشجاعة الوقحة لا يمكن أن تساعد على الإيمان): كم عدد عمال المياومة الذين كان من المحتمل أن يكونوا لديهم هذه الشجاعة؟ ولكن من لم يكن لديه هذه الشجاعة سيُساء إليه، سيبدو غيرُ العادي له كسخرية منه تقريباً. ثم ربما يعترف بأمانة وصراحة بأن مثل هذا الشيء عالٍ للغاية بالنسبة إلي، لا استطيع أن أستوعبه، إنه يبدو لي كحماقة، وعليّ أن أقول ذلك بشكل مباشر.

والآن، ماذا عن المسيحية! المسيحية تعلم أن هذا الإنسان الفرد ـ وهكذا كل إنسان فرد، سواء كان رجلاً، امرأة، خادمةً، وزيراً، تاجراً، حلاقاً، طالباً، أو أيّاً كان، هذا الإنسان الفرد كونه موجوداً *أمام* اللّه ـ هذا الإنسان الفرد الذي ربما سيكون فخوراً مرة واحدة في حياته كونه تحدث إلى الملك، هذا الفرد الذي ليس لديه أقل وهم عن كونه يعيش بألفة مع هذا الشخص أو ذاك، هذا الإنسان الفرد موجود أمام اللّه، وبوسعه أن

يتحدث مع اللّه في أي وقت يشاء، وموقنٌ بأنه سيسمعه ـ باختصار، دُعِيَ هذا الإنسان الفرد ليعيش بأكثر حميمية مع اللّه! عِلاوة على ذلك، من أجل هذا الإنسان، وكذلك من أجل هذا الإنسان الفرد بالذات، يظهر اللّه إلى العالم ويسمح لنفسه بأن يولد، ويعاني، ويموت، وهذا الإله المُعاني ـ يتوسل ويطلب تقريباً من هذا الإنسان الفرد أن يقبل المساعدة التي قُدِّمت إليه! حقاً لو كان هناك أي شيء لتفقد عقلك حوله، فهو هذا بالتأكيد! كل من يفتقر إلى الشجاعة المتواضعة ليجرؤ على الإيمان بهذا يسخط. لكن لماذا يكون ساخطاً؟ لأن هذا بالنسبة إليه سامٍ، لأن عقله لا يستطيع إدراكه، لأنه لا يستطيع أن يوجّه جرأته مباشرةً إليه، ولهذا يجب أن يتخلص منه ويمرره على أنه مجرد هراء وترّهة وحماقة، لأنه يبدو كأنه سيخنقه.

فما الامتعاض؟ الامتعاض هو إعجابٌ غيرُ سعيد. وبالتالي، فهو مرتبط بالحسد، لكنه حسد يتوجه ضد الفرد نفسه، وبشكل أسوأ ضد ذاته إلى درجةٍ قصوى. عدم تسامح الإنسان الفطري لا تسمح له بالأمر الاستثنائي الذي منحه اللّه له، فيسخط.

تعتمد درجة الامتعاض الآن على مدى عاطفية إعجاب الإنسان. الأشخاص الأكثر رتابةً الذين يفتقرون إلى الخيال والعاطفة، الذين لا يمنحونَ الإعجاب بشكل خاص، هم مستاؤون أيضاً، لكنهم يقتصرون على القول: لا يمكنني أن أدخله إلى عقلي، [1] فأتركه. إنهم شكّاكون، لكن كلما زادت عاطفةُ وخيال الإنسان، كان أقربَ، بمعنًى محدد، من إمكانية أن يصبح مؤمناً. *ملاحظة*، بالافتتان بإذلال نفسه تحت الاستثنائي ـ فإن

(1) فضلتُ أن أترجمها حرفياً لغرض المحافظة على روح التهكم في العبارة لدى كيركورد، والمعنى هو أنه لا يمكنني إدراكه أو استيعابه.

الامتعاض الأكثر شغفاً، الذي لا يمكن، في النهاية، أن يكون راضياً بأقل من اجتثاثه، وإزالته، وتمريغه في القذارة.

لفهم الامتعاض، من الضروري دراسة الحسد الإنساني دراسة أعرضها وتتجاوز متطلبات البحث، وأتخيل أنني قمت بها بشكل عميق. الحسد هو إعجاب خفيّ. المُعجب الذي يشعر أنه لا يستطيع أن يصبح سعيداً بالتخلي عن نفسه لها، يختار أن يصبح حسوداً لهذا الذي يُعجب به. لذلك فهو يتحدث بلغة أخرى، حيث يكون الشيء الذي يعجب به في الواقع لا شيئاً، شيئاً غبيّاً ومخجلاً وشيئاً غيرَ مألوفٍ ومبالَغاً فيه. الإعجاب هو خسران ذاتي سعيد، الحسد تأكيدٌ ذاتي تعيس.

هكذا أيضاً مع الامتعاض، لأن ذلك الذي بين إنسان وإنسان هو إعجاب ـ حسد، موجود في العلاقة بين اللّه والإنسان: افتنان ـ استياء. المجموع الكلي لكل الحكمة البشرية هو هذه القاعدة «الذهبية»،[1] أو ربما بشكل أكثر دقة أن تقول هذه «المطلية: *لا شيء مفرط*»،[2] الندرة والإفراط يفسدان كل شيء. وهذا أمر يتداوله الناس على أنه حكمة تكرم بإعجاب، سعر صرفه لا يتغير أبداً، وتضمن البشرية جمعاء قيمته. فإذا كان يعيش بين الحين والآخر عبقريٌّ يمضي أبعد من هذا قليلاً ويُسَمَّى مجنوناً ـ من قبل الحكماء. لكن المسيحية تخطو خطوة هائلة أبعد من هذا: *لا تسعى إلى فائض*،[3] في العبث، أي حيث تبدأ المسيحية ـ والاستياء.

الآن نرى كم هو غباء بشكل غير عادي (بحيث ما تزال هناك بقايا لشيء

---

(1) انظر:

Horats's oder 2, 10,5: enhver der elsker den gylnde middelvej o.s.v.

(2) في الأصل Ni quid nimis، وخلاصة العبارة بأكملها أن خير الأمور أوسطها.

(3) باللاتينية في الأصل Ni quid nimis.

غير عادي) الدفاع عن المسيحية، ومدى ضآلة المعرفة بالطبيعة البشرية التي تظهر، وأي لعبة خفية تُلعَب، حتى وإن من دون وعي، بالإساءة من خلال جعل المسيحية على أنها فقيرة، شيء ينبغي إنقاذه بحماية في النهاية. لهذا من المؤكد وصحيح أن الشخص الأول الذي خطرت له فكرة الدفاع عن المسيحية في المسيحانية هو *في الواقع*[1] يهوذا رقم اثنين، هو أيضاً يخون بقبلة، غير أن خيانته هي خيانة غباء. أن تدافع عن شيء يعني دائماً أن تستهين به. افترض أن أحداً يمتلك مستودعاً مملوءاً بالذهب، وافترض أنه مستعد لمنح كل دوقية[2] للفقراء ـ لكن افترض، بالإضافة إلى ذلك، أنه غبي بما يكفي ليبدأ عمله الخيري هذا بدفاعٍ يبرره بثلاثة أسباب: ولن يكون بعيداً حتى يكتشف الناس أن من المشكوك فيه تقريباً أنه يفعل أي خير. أما بالنسبة إلى المسيحية! حسناً، إن من يدافع عنها لم يؤمن بها أبداً. فإذا كان يؤمن، فإن حماسة الإيمان ليس دفاعاً، لا، إنه هجوم وانتصار، والمؤمن هو المنتصر.

كذلك الأمر مع المسيحية والامتعاض. إمكانية الامتعاض تكون حاضرة على نحو ملائم جداً في التعريف المسيحي للخطيئة. وهو هذا: أمام الله. الوثني، الإنسان الطبيعي، على استعداد تام للاعتراف بوجود الخطيئة، لكن هذه «أمام الله»، التي تجعل الخطيئة في الواقع خطيئة، هذه كثيرة جداً بالنسبة إليه. فبالنسبة إليه (وبطريقة مختلفة أيضاً عن تلك الموضحة هنا)، أن يجعل الكثير كثيراً جداً من كونه إنساناً، يجعلها أقل قليلاً، وهو على استعداد لمواكبة ذلك ـ «لكن الكثير يعني الكثير».

---

(1) باللاتينية في الأصل de facto، ويمكن أن تترجم فعلياً، عملياً، إلخ.

(2) عملة ذهبية أوروبية قديمة.

الفصل الثاني

التعريف السقراطي للخطيئة

الخطيئة هي الجهل. هذا، كما هو معروف، تعريف سقراطي، وهو - كأي شيء سقراطي - مثالٌ جدير بالاهتمام دائماً. ومع ذلك، فيما يتعلق بهذا الموقف السقراطي كما هي الحال بالنسبة إلى العديد من المواقف السقراطية الأخرى، فقد تعلم الإنسان أن يشعر بالحاجة إلى المضي قدماً. كم شعر عددٌ لا يحصى من الناس بالحاجة إلى أن يتجاوزوا الجهل السقراطي - على ما يبدو لأنهم شعروا أن من المستحيل عليهم أن يبقوا عند ذلك، فكم كان عدد الناس من كل جيل الذي كان قادراً بشكل مؤكد ولو لشهر فحسب أن يتحمل، وجودياً، التعبيرَ عن الجهل بكل شيء.

بأي حال من الأحوال، سأستبعد التعريف السقراطي على أساس أنه لا يمكن للمرء التوقف عند هذا الحد، لكن مع أخذ المسيحية في الاعتبار سأستخدمه لإبراز وضوحه - ببساطة لأن التعريف السقراطي هو يوناني حقيقي، لذا هنا - كما هي الحال دائماً مع أي تعريف آخر - هو بالمعنى الأكثر صرامة ليس مسيحياً بدقة، أي إن كلّ تعريف متوسط - يصبح فراغه جليّاً.

العيب في التعريف السقراطي هو غموضه حول كيفية فهم الجهل نفسه بشكل أكثر تأكيداً، وأصله، وما إلى ذلك. وبكلمات أخرى، حتى إذا كانت الخطيئة جهلاً (أو ما فضّلت المسيحية ربما أن تسميه غباءً)، والذي لا يمكن بمعنًى محدد نكرانه بالطبع ـ أهذا جهلٌ أصلي، وهل هو حال شخص ما لم يعرف ولم يكن قادراً حتى الآن على معرفة أيّ شيء عن الحقيقة، أم أنه جهل محصَّلٌ لاحقاً؟ فإذا كان هذا الأخير، فلا بد أن الخطيئة في الحقيقة تقيم أساساً في شيء آخر غير الجهل. لا بد أنها تقطن في مساعي إنسان لإخفاء معرفته. ومع ذلك، وبالنظر إلى هذا الافتراض أيضاً، يظهر الغموض العنيد والمتواصل مرةً أخرى: حيث يصبح السؤال عمّا إذا كان الشخص على دراية بعمله في اللحظة التي بدأ فيها بإخفاء معرفته. فإذا لم يكن واعياً بهذا بوضوح، فقد حُجِبَت معرفته إلى حد ما بالفعل قبل أن يبدأ في فعل ذلك، ومن ثَمّ يتكرر السؤال ببساطة مراراً وتكراراً. ومع ذلك، إذا افترض أنه كان مدرِكاً بوضوح ما كان يفعله عندما بدأ يحجب معرفته، فإن الخطيئة (حتى لو كانت الجهل، بقدر ما تكون هذه هي النتيجة) ليست في المعرفة بل في الإرادة، وهذا السؤال الذي لا بد أن يظهر يتعلق بعلاقة المعرفة والإرادة مع بعضهما البعض. مع كل هذه الأشياء (ويمكنني هنا الاستمرار بطرح السؤال في عدة أيام) فإن التعريف السقراطي لا يعنيها حقاً. لقد كان سقراطُ في الواقع أولَ عالم أخلاق (وهو ما تدّعيه العصور القديمة بحق من أنه مؤسس الأخلاق، دون قيد أو شرط) كما هو تماماً ويبقى الأول من نوعه، لكنه يبدأ بالجهل. فكرياً، إنه اتجه إلى الجهل، أي إنه لا يعرف أي شيء. وهو يفهم من ناحية أخلاقية بالجهل شيئاً آخرَ تماماً، ويبدأ لذلك به. من ناحية أخرى، من الطبيعي أن

سقراط ليس عالماً أخلاقياً دينياً في الأساس، وحتى أقل مما هو عقائدي مسيحي. ولذلك، لا يدخل حقاً في كامل البحث على الإطلاق الذي تبدأ المسيحية به، ولا يدخل في *الحالة السابقة*[1] حيث تفترض الخطيئة نفسها مسبقاً فيها، والتي فُسِّرَت في المسيحية في عقيدة الخطيئة الأصلية، العقيدة التي نصل مع ذلك إلى حدودها فقط في هذا البحث.

لذلك لا يصل سقراط فعلاً إلى مفهوم الخطيئة الذي يكون بالتأكيد مشكوكاً فيه من حيث كونه تعريفاً للخطيئة. كيف يمكن أن يكون هذا؟ لو أن الخطيئة هي جهل، إذن، لا وجود للخطيئة في الحقيقة، لأن الخطيئة هي في الواقع وعي. إذن، الخطيئة هي أن تكون جاهلاً بما هو صحيح، ولهذا يرتكب الإنسان الخطأ، فالخطيئة لا تكون موجودة، إذن. لو كانت هذه خطيئة، فيُفترض بالطبع، إلى جانب سقراط أيضاً، أنه لا يوجد شيء مثل معرفة أحدٍ ما الصواب وفعله الخطأ، أو معرفته بأن هناك شيئاً خطأً ومُضيّه قُدُماً ليفعل الخطأ. ومن ثَم، لو كان تعريف سقراط صحيحاً، فلا وجود للخطيئة على الإطلاق. لكن لاحِظ، هذا، هذا بالضبط هو مسيحيٌّ في ترتيبه، بمعنًى أعمق صائبٌ تماماً، في مصلحة المسيحية *ما يجب برهانه.*[2] وبالتحديد مفهوم الخطيئة، العقيدة حول الخطيئة، الذي يميّز المسيحية بشكل حاسم نوعياً من الوثنية، ولهذا تفترض المسيحية بثباتٍ أيضاً أنه لا الوثنية أو الإنسان الفطري يعرف ما الخطيئة، في الحقيقة، إنها تفترض أنه لا بد أن يكون هناك وحيٌ من اللّه ليبين ما هي الخطيئة. إن الاختلاف النوعي بين الوثنية والمسيحية هو ليس، كما يفترض تصورٌ

---

(1) في الأصل prius.

(2) باللاتينية في الأصل *Quod erat demonstrandum*.

سطحي، العقيدة عن الكفّارة. كلا، ينبغي أن تكون البداية أكثر عمقاً، مع الخطيئة، مع العقيدة عن الخطيئة ـ كما تفعل المسيحية في الواقع. فأيّ اعتراض خطير سيكون ضد المسيحية، لو كان لدى الوثنية تعريف للخطيئة، كان على المسيحية أن تعترف به باعتباره صحيحاً.

إذن، ما هو المكون الذي يفتقر إليه سقراط لتعريف الخطيئة؟ إنه الإرادة والتحدي. كان الفكرُ الإغريقي سعيداً جداً، وساذجاً جداً، وجمالياً جداً، تهكمياً جداً، وظريفاً جداً ـ آثماً جداً ـ ليكون قادراً على إدراك أن أي فرد يمكن بمعرفةٍ أن لا يفعل الخير، أو بعلمٍ يعرف ما هو الصحيح ويفعل الخطأ. إن العقل الإغريقي يطرح حتميةً فكرية قطعية.[1]

يجب عدم إغفال الحقيقة في هذا الأمر الآن، وضروريٌّ فهمها بلا شك في زمن كهذا، الذي يجري جامحاً في معرفة فارغة جداً وعقيمة ومغرورة، لذا حتى الآن، كما في عصر سقراط تماماً، وأكثر من ذلك فحسب، كانت هناك حاجة إلى أن يجوع الناس قليلاً بشكل سقراطي. إنه أمرٌ مضحكٌ مُبكٍ بمعنًى صحيح تماماً، كل هذه التأكيدات حول إدراك وفهم السامي، بالإضافة إلى البراعة التي يعرف العديد كيف يعرضها بها بتجريد ـ إنه مضحكٌ مبكٍ على حد سواء أن ترى أن كل هذه المعرفة والفهم لا يمارسان أي سلطة إطلاقاً على حياة البشر، وأن حياتهم لا تعبر بأقصى طريقة ماذا فهموا، بل على الأحرى هو العكس. ينفجر المرء دون قيد أو شرط عند رؤية هذا التباين المضحك والمبكي: لكن كيف يكون ممكناً مع ذلك أنهم استطاعوا فهمه، وهل صحيح أيضاً أنهم فهموه؟ هنا يجيب المتهكم

(1) هذا مصطلحٌ رئيسي من فلسفة كانط الأخلاقية، يجسّد تطبيقاً عاماً كمعيارٍ رئيسي لمبدأ العمل ويفترض مسبقاً أن «يجب» تعني ضمناً «يمكن».

والأخلاقي القديم: أوهِ، يا أصدقائي، لا تصدقوا أبداً هذا؛ إنهم لم يفهموه لأنهم لو فهموه حقاً لعبّرت حياتهم عن هذا أيضاً، من ثَم فعلوا ما فهموا.

هل يعني، إذن، أن تفهم وتفهم شيئان مختلفان؟ بالتأكيد تماماً، والشخص الذي فهم هذا ـ لكن علينا أن لا ننسى، ليس بمعنى النوع الأول للفهم ـ يبدأ *تلقائياً* [1] في كل أسرار التهكم. إنه هذا التناقض في الحقيقة الذي يشغل التهكم. أن نعتبر أحداً ما مضحكاً وهو حقاً جاهل بشيء هو نوع من الكوميديا المتدنية، ولا يستحق السخرية. أن يفترض الناسُ الذين عاشوا ذات مرة أن الأرض ثابتة ـ ولم يعرفوا أيّ شيء أفضل ـ لا شيء لديهم مضحك بشكل خاص عنها. من المحتمل أن يبدو عصرُنا مشابهاً لعصرٍ يتمتع بمزيدٍ من المعرفة حول العالم المادي. التناقض بين عصرين مختلفين أُدرِكَ عند نقطة أعمق من المصادفة، لكن مثل هذا التناقض لا يكون تناقضاً جوهرياً، وبالنتيجة ليس كوميدياً بصورة جوهرية، أيضاً. كلّا، لكن عندما يقف إنسانٌ ويقول الشيء الصحيح ـ وبالتالي قد فهمه، وعندئذ لمّا ينبغي عليه أن يعمل، يقوم بشيء خطأ ـ و يظهر على هذا النحو أنه لم يفهمه ـ نعم إنه كوميدي بلا حدود. من المضحك إلى أبعد حد أنه أُثِير للبكاء بحيث لم يتصبب العرق منه فقط بل إن الدموع تنهمر على وجهه، يمكنه الجلوس وقراءة أو سماع شرحٍ عن نكران الذات، عن نبل التضحية بحياته من أجل الحقيقة ـ ثم في اللحظة التالية: *واحد، اثنان، ثلاثة، ثم قرقعة،* [2] والدموع ما تزال تقريباً في عينيه، يكون على قَدَمٍ وساق وبِعَرَق وجهه وبأفضل ما لديه من قدرة متواضعة لمساعدة اللا حقيقة على

---

(1) باللاتينية في الأصل *Eo ipso*.

(2) في الأصل بالألمانية Ein, zwei, drei, vupti، ويمكن ترجمة المفردة (vupti) إلى انفجر أو طق.

الانتصار. ومضحك إلى أبعد حد أن متحدثاً ذا صوت وإيماءات صادقة، متهيّج بعمق، ومفعم بالنشاط والحيوية بعمق، يستطيع بشكل مؤثر أن يعرض الحقيقة ويواجه كل قوى الشر والجحيم بجرأة، بثقة بالنفس رائعة في تحمله، وجسارة في نظرته، وملاءمة للحركة التي تستحق الإعجاب ـ إنه من المضحك للغاية أنه في نفس اللحظة تقريباً ما يزال عملياً في «رداء النوم»[1] يمكن أن يهرب بجبن وبخجل من أدنى إزعاج. من المضحك إلى أبعد حد أن أحداً يكون قادراً على فهم كل الحقيقة حول مدى بؤس وانحطاط العالم، إلخ ـ إنه يستطيع أن يفهم هذا، ومن ثم في اللحظة التالية لا يعرف ماذا قد فهم، لأنه يذهب بنفسه في نفس اللحظة تقريباً ويشارك في نفس البؤس والقبح، ويحصل على تكريم عليه ويقبل التكريم، أي يعترف به. أوهٍ، عندما نرى أحداً ما يعلن أنه قد فهم تماماً كيف طاف المسيحُ في هيئة خادم مسكين، فقير، مهان، ومزدرى به، كما يخبرنا الكتاب المقدس: ويبصقون عليه[2] ـ عندما أرى بعد ذلك نفس الشخص يشق طريقه بجدية إلى المكان الذي من الجيد أن يكون فيه بحصافة دنيوية، وأن يضع نفسه بأمان قدر الإمكان، عندما أراه بفزع شديد من كل نفحة ريح غير مواتية من اليمين أو اليسار، كما كان عليه أن يفعل، سعيداً، سعيداً جداً، سعيداً إلى أقصى درجة، فرحاً جداً ـ نعم، ولجعل الأمر كِاملاً، فرِحاً جداً إلى درجة أنه يشكر اللّه على ذلك ـ على تكريمه واحترامه بلا شرط من قبل الجميع، الجميع: حين ذاك كنت غالباً ما أقول لنفسي ومن خلال نفسي: «سقراط، يا سقراط،

---

(1) انظر:

Holberg, den politiske Kandstøber, IV, 2; Scende og andre scene.

(2) انظر الكتاب المقدس، العهد الجديد، لوقا: 18، 32.

يا سقراط، هل كان من الممكن أن هذا الإنسان قد فهم ما يقول أنه فهمه؟»، هكذا تحدثت ـ في الواقع، لقد تمنيت أيضاً أن سقراط كان على حق. لأنه يبدو، على الرغم من ذلك، كما لو أن المسيحية كانت شديدة الصرامة، ولا يمكنني التوفيق بين ذلك وتجربتي الخاصة، لأجعل مثل هذا الإنسان منافقاً. لا، يا سقراط، يمكنني أن أفهمك، أنت تجعله مزّاحاً، أخاً من النوع المرح، أنت تجعله ضحية للضحك، ليس لديك أي اعتراض، بل الأحرى أن الأمر يحصل حتى على موافقتك، إنني أَعُدّه وأقدمه كشيء مضحك ـ شريطة أن أفعل ذلك بشكل جيد.

سقراط، سقراط، سقراط! نعم، لا بد من ذكر اسمك ثلاث مرات، ولن يكون كثيراً جداً ذكرُ اسمك عشر مرات، ما دام ممكناً أن يساعد بشيء. يعتقد المرء أن العالم يحتاج إلى جمهورية، وأنه بحاجة إلى نظام اجتماعي جديد ودين جديد: لكن لا أحد يفكر بأن ما يحتاج إليه هذا العالم، الذي أربكته كثرة المعرفة فحسب، هو سقراط. بالطبع، هذا مفهوم، لو فكّر أي أحد بذلك، ناهيك بالأمر إذا فكر كثيرون بذلك، فستكون الحاجة إلى سقراط أقل. فأكثر ما يحتاج إليه الخطأ هو هذا دائماً، الذي أقل ما يُفكَّر به ـ بطبيعة الحال، وإلّا فإنه لم يكن خطأ.

لذا فإن مثل هذا التصحيح الأخلاقي ـ التهكمي قد يكون عصرنا في حاجة ماسة إليه، وربما هو الشيء الوحيد، الذي يحتاج إليه فعلياً ـ فمن الواضح أنه آخر شيء يفكر به. كان من الضروري جداً، بدلاً من تجاوز سقراط أن نعود إلى هذا المبدأ السقراطي: أن تفهم وتفهم هما شيئان ـ ليس كنتيجة تُعين الناسَ في أعمق بؤسهم، لأن ذلك يلغي بالضبط الاختلاف بين أن تفهم وتفهم، إنما كمفهوم أخلاقي للحياة اليومية.

يعمل التعريف السقراطي على النحو التالي: عندما لا يفعل أحد ما هو صحيح، فهو لم يفهمه أيضاً، إن فهمه هو تخيّل، تأكيده أنه فهمَ أمراً خطأً. احتجاجه المتكرر على أنه سيشنق إذا لم يفهم، إنه يضعه بعيداً، بعيداً على أكثر الطرق التواءً على طول أكبر منعطف طريق ممكن. ولكن بعد ذلك، فالتعريف في الواقع صحيح. إذا فعل أحد الصواب، فلن يأثم بالتأكيد، وإذا لم يفعَلِ الصوابَ فهو لم يفهمه كذلك؛ لو كان قد فهمه حقاً، كان من شأنه أن يدفعه بسرعة للقيام بذلك، وسَرعان ما يجعله شخصية مرددة لفهمه: *وبناءً عليه* الخطيئة هي جهل.

لكن أين يكمن العيب في التعريف؟ عيبه هو شيء يدركه ويعالجه المبدأُ السقراطي ذاته، لكن إلى حد ما فقط: إنه يفتقر إلى جدلية مناسبة للانتقال من فهم شيء ما إلى القيام به. في هذا الانتقال تبدأ المسيحية. بانتهاج هذا الطريق، تبين أن الخطيئة تكمن في الإرادة، وتبلغ مفهومَ التحدي، ولكي تجعل النهاية ثابتةً بصورة صحيحة، تضيف الدوغما عن الخطيئة الأصلية ـ للأسف لأن سرّ التأمل في الفهم هو بالضبط أن تَخِيط من دون أن تثبت النهاية ومن دون أن تعقد الخيط، ولذلك يمكن الاستمرار بشكل مدهش بأن تخيط وتخيط، أي أن تسحب الخيط خلاله. أما المسيحية فهي تثبت، من الناحية الأخرى، النهاية بوسائلِ المفارقة.

في المثالية الصِّرفة، حيث لا يكون الإنسانُ الفردي الفعلي منخرطاً، يكون الانتقالُ ضرورياً (بعد كل شيء، يحدث في النظام كل شيء بالضرورة)، أو لا توجد صعوبة على الإطلاق مرتبطةٌ بالانتقال من الفهم إلى العمل. هذا هو العقل الإغريقي (ولكن ليس السقراطي، لأن سقراط هو عالم أخلاقي أكثر من اللازم لذلك). وهذا الشيء نفسه تماماً هو في

الحقيقة كامل سر الفلسفة الحديثة، لأن الحال هو هذا: *أنا أفكر، إذن أنا موجود*،[1] أن تفكر في أن تكون (مسيحياً، تقرأ، من ناحية أخرى: وفقاً لإيمانك، كما تؤمن، أو كما تعتقد أنت كذلك، أن تؤمن هو أن تكون).[2] وعلى هذا النحو سيرى المرء أن الفلسفة الحديثة ليست أكثر أو أقل من الوثنية. لكن هذا حتى الآن ليس الأسوأ - أن تكون في قرابة مع سقراط ليس هو الأسوأ. لكن السمة غير السقراطية تماماً في الفلسفة الحديثة هي أنها تريد أن توهم نفسها وتوهمنا أن هذه هي المسيحية.

في عالم الواقع، مع ذلك، حيث يكون الحديث عن الإنسان الفرد، يوجد هذا التحول الصغير من الفهم إلى العمل: إنه ليس دائماً *سريعاً جداً*،[3] إنه ليس (إذا كان علي أن أتحدث ألمانيّاً، لافتقاري إلى اللغة الفلسفية) *بسرعة الريح*،[4] على العكس تماماً، هذه هي البداية لقصة مسهبة جداً.

في حياة الروح ليس يوجد سكون (ولا في الواقع أي حالة أيضاً، إذ كل شيء في حركة ونشاط). لذلك، إذا لم يفعل الإنسان في اللحظة نفسها التي يعرف فيها - عندئذ، وقبل كل شيء، عادت المعرفة غير مثيرة. بعد ذلك يأتي السؤال عن كيف تقيّم ما هو معروف. الإرادة جدلية، ولديها تحت سلطتها كاملُ الطبيعة الدنيا للإنسان. فإذا كانت الإرادة لا تتوافق الآن مع ما هو معروف، فلا يترتب بالضرورة على ذلك أن تمضي الإرادة قدماً نحوه وتفعل عكس ما فهمته المعرفة، فمثل هذه التناقضات

---

(1) انظر:

Descartes's Grundsætning.

(2) انظر إنجيل متّى: 9، 29. هنا بمعنى أنا مؤمن، إذن أنا موجود. (المترجم)

(3) باللاتنية في الأصل Cito citissime.

(4) بالألمانية في الأصل Geschwind wie der wind.

القوية تحدث بالتأكيد نادراً، لكن بعد ذلك تسمح الإرادة بمرور بعض الوقت، فترةً مؤقتة، تُسمى: «سننظرها مع ذلك غداً». في ظل كل هذا تصبح المعرفة غامضة وملتبسة، وينتصر الأدنى أكثر وأكثر، للأسف، لأنه يجب عمل الخير على الفور، حالما يُعرَف (وهذا هو السبب أن الانتقال في المثالية المحضة من أن تفكر إلى أن تكون[1] سهلة للغاية، لأن كل شيء يكون هناك على الفور)، لكن قوة الطبيعة الدنيا تكمن في التمدد. وتدريجياً ليس لدى الإرادة اعتراضٌ على أن هذا يحدث، وتغضّ الطرف تقريباً في ذلك. وعندما تصبح المعرفة غامضة على نحو وافٍ، فعندئذ يمكن للمعرفة والإرادة أن تتفاهما وتتوافقا في الخاتمة تماماً، لأن المعرفة قد انتقلت الآن إلى جانب الإرادة، وتعترف أن ما تريده صحيح تماماً. وعلى هذا النحو ربما تعيش الأكثرية العظمى من الناس: إنهم يعملون تدريجياً على جعل معارفهم الأخلاقية والدينية ـ الأخلاقية معتمة، والتي ستؤدي بهم إلى قرارات ونتائجَ لا تهتم طبيعتهم الدنيا كثيراً بها، لكنهم يوسعون معرفتهم الميتافزيقية والجمالية، التي هي من الناحية الأخلاقية انحرافٌ.

ولكن مع كل هذا لم نصل بعدُ إلى أبعدَ من المبدأ السقراطي، لأن سقراط سيقول إذا كان هذا يحدث هذا فإنه يبين فقط أن إنساناً مثل هذا ما يزال لم يفهم ما هو الصواب. وهذا يعني أن الذهنية اليونانية لا تملك الشجاعة لتعلن أن شخصاً ـ عن علم بالخطأ ومعرفةٍ بما هو الصحيح ـ يفعل الخطأ، لذلك تساعد وتقول: عندما يفعل أحد الخطأ، فإنه لم يفهم الصحيح.

صحيح تماماً. لا يمكن لإنسان أن يذهب أبعد من ذلك، لا يمكن لأي

---

(1) أي من التفكير إلى الوجود.

إنسان بنفسه أو من نفسه أن يفصح عن ماهية الخطيئة، بالتحديد لأنه في الخطيئة، وكل حديثه عن الخطيئة هو في نهاية الأمر تزيينٌ للخطيئة وتبرير وتهدئة آثمة. ولهذا تبدأ المسيحية بطريقة أخرى أيضاً، بأنه لا بد أن يكون هناك وحيٌ من اللّه ليطّلع الإنسانُ على ماهية الخطيئة، وإن الخطيئة مع ذلك لا تكمن في أن الإنسان لم يفهم الصحيح، بل في أنه لا يريد أن يفهمه، وفي أنه لا يريد هذا.

فيما يتعلق بالفرق بين عدم *القدرة* على الفهم وعدم *الرغبة* في الفهم، لم يخبر سقراط في الحقيقة أي شيء، في حين أنه من الناحية الأخرى معلّم عظيم لكل المتهكمين في العمل عن طريق التمييز بين أن يفهم ويفهم. يشرح سقراط أن هذا الذي لا يفعل الصحيح فإنه لا يفهمه كذلك، بينما ترجع المسيحية قليلاً إلى الوراء وتقول: هذا لأنه لا يريد أن يفهمه، وهذا بدوره لأنه لا يريد الصحيح. بعد ذلك، يُعلّم أن الإنسان يفعل ما هو خطأ (التحدي الحقيقي) على الرغم من أنه يفهم ما هو الصحيح، أو يتجنب أن يفعل الصواب على الرغم من أنه يفهمه. باختصار، إن العقيدة المسيحية عن الخطيئة هي صفاقة بحتة ضد الإنسان، اتهام فوق اتهام، إنها الدعوى التي يجرؤ الإله باعتباره المدّعي على رفعها ضد الإنسان.

لكن هل يمكن لأي إنسان أن يفهم هذه التعاليم المسيحية؟ ليس هذا بأي حال من الأحوال، فهي بالطبع التعاليم المسيحية أيضاً ولذا فهي للإهانة. ويجب الاعتقاد بها. الفهم هو نطاق الإنسان بالنسبة إلى الإنساني، لكن الإيمان هو علاقة الإنسان بالإلهي. فكيف تفسر المسيحية، إذن، هذا الإشكال؟ بثباتٍ تماماً، بطريقة مبهمة مماثلة، عن طريق أنها مُوحاة.[1]

---

(1) أي أنها نزلت عن طريق الوحي وبهذا تكون كافية للتصديق. (المترجم)

ولهذا، بالتفسير المسيحي، تكمن الخطيئة في الإرادة وليس في المعرفة. وفساد هذه الإرادة يصيب وعيَ الفرد. وهذا متسق تماماً، وإلّا فسيتعيّن طرحُ السؤال عن أصل الخطيئة فيما يتعلق بكل فرد.

هنا مرة أخرى علامة الاستياء. إمكانية الاستياء تكمن في أنه ينبغي أن يكون هناك وحيٌ من اللّه لكي يُطلع الإنسان عمّا هي الخطيئة، ومدى تجذّرها بشكل عميق. يفكر الإنسان الطبيعي، الوثني على النحو التالي: «حسناً، أعترف أنني لم أفهم كل شيء في السماء وعلى الأرض، فإذا كان ينبغي أن يكون هناك وحي، دعه إذن يعلمنا حول الأمور السماوية، ولكن من غير المعقول أنه يجب أن يكون هناك وحي ليطلعنا على ما هي الخطيئة، فهو عندئذ من أكثر الأمور غير العقلانية على الإطلاق. أنا لا أدعي بأنني رجل كامل، بعيد عن ذلك، مع ذلك أعرف وعلى استعداد للاعتراف بمدى بُعدي عن الكمال: فهل ينبغي أن أعرف إذن ما الخطيئة؟ لكن المسيحية تجيب: لا، هذا هو أقل ما تعرفه من كل شيء، إلى أي مدًى بعيد أنت عن الكمال، وما هي الخطيئة. ـ لاحظ ذلك بهذا المعنى، وانظر إليه من وجهة نظر مسيحية، الخطيئة في الحقيقة جهل: وهو جهل عمّا هي الخطيئة.

لذا ما يزال تعريفُ الخطيئة الوارد في الفصل السابق بحاجة إلى استكماله: الخطيئة هي، بعد أن تكون قد اتّضحت بوحيٍ من اللّه يتعلق بماهية الخطيئة ـ أمام اللّه في اليأس أن لا تريد أن تكون ذاتك، أو في اليأس أن تريد أن تكون ذاتك.

الفصل الثالث

إن كلَّ خطيئةٍ ليست نقضاً،[1] بل هي موقف

إنه أمر لطالما ناضل من أجله العقائديون الأرثوذكس والأرثوذكسية باستمرار، وقد رفضوا كحلوليين[2] كل تعريف للخطيئة جعلها مجرد شيء سلبي، ضعيف، حسيّ محدود، وجاهل، إلخ. لقد رأتِ الأرثوذكسيةُ بشكل صحيح أنه يجب خوض المعرفة هنا، أو لنذكّر بما سبق: أنه هنا يجب تثبيت النهاية، هنا يتعلق الامر بالتراجع. لقد أدركَتِ الأرثوذكسية بشكل صحيح أن كل المسيحية تكون بلا موقف عندما تُعَرَّف الخطيئة بشكل سلبي. لذلك، تؤكد الأرثوذكسية أنه يجب أن يكون هناك وحيٌ من اللّه لتعليم الإنسان الهالك ما الخطيئة، «وأي رسالة، إذن، يجب تصديقها بثبات واتساق تماماً، طالما أنها دوغما». وتفهم أن هذه المفاهيم الثلاثة: المفارقة، الإيمان، الدوغما، تشكّل تحالفاً وتوافقاً، وهي أضمن التضامن والحصانة ضد كل الحكمة الوثنية.

هذه هي الحال مع الأرثوذكسية. وعليه، من خلال سوء فهم غريب فإن

---

(1) يمكن أن تترجم أيضاً «إنكار، إبطال، نسخ، إلخ».

(2) معتقد أو إيمان بوحدة الوجود.

ما يسمى بالعقيدة التأملية، التي انخرطت مع الفلسفة بطريقة مريبة، حسبت أنها قادرة على *إدراك* هذا المفهوم بأن الخطيئة موقف. لكن إذا كان هذا صحيحاً، فالخطيئة ـ إذن ـ هي نقض. السر في كل فهم هو أن هذا الفهم نفسه هو أعلى من أيّ موقف يفترضه. المفهوم يفترض موقفاً، لكن فهم هذا هو بالتحديد نقضه. إن العقيدة التأملية، على الرغم من إدراك ذلك إلى حد ما، لم تعرف أيّ مُعين آخر سوى ما يناسب قليلاً العلم الفلسفي، أن تلاحظ عرضياً فصل التأكيدات في النقطة التي تتم فيها الحركة. يؤكد المرء هذه المرة بشكل جادي أكثر من الأخرى، شاتماً ولاعناً أكثر وأكثر، إن الخطيئة هي موقف، وأنها وحدة وجود[1] وعقلانية، والله يعرف كل هذا أنها، ولكن كل ذلك هو شيء تمقته وترفضه العقيدة التأملية، لتقول أن الخطيئة هي مجرد نقض ـ فيختار المرء أمراً آخر لفهم أن الخطيئة هي موقف. أيّ إنها، مع ذلك، موقف إلى حد معين فقط، وليس أكثر مما يمكن للمرء مع ذلك فهمها بشكل كافٍ.

وهذه الازدواجية نفسها من جانب التأمل تظهر في نقطة أخرى ذات صلة. تعريف الخطيئة، أو كيفية تعريفها، هو أمر حاسم بالنسبة إلى التوبة. لمّا كان موضوع نفي النفي تأمليّاً للغاية، فالإمكانية الوحيدة هي أنه يجب أن تكون التوبة نفياً للنفي ـ وبهذا تصبح الخطيئة نفياً. ـ من نواحٍ أخرى،

---

(1) Phantheisme الوحدانية أو وحدة الوجود وهي مذهب يقول بأن الكون «الطبيعة» والله هو «الألوهية» حقيقة واحدة. وقد ظهر هذا الاعتقاد عند الهنود أولاً، ثم ظهر في الفلسفة اليونانية، بأن أخذ بعض فلاسفتها مادة جعل منها الأصل الذي تتكون منه الأشياء باجتماع بعضه مع بعض أو بالتكاثف، وتفسد بافتراق بعضه عن بعض. أو بالتخلخل. انظر، مراد وهبة ، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016.

كان بالتأكيد سيكون مرغوباً فيه جداً أن يشرح مفكرٌ رصين مرةً إلى أي مدًى (تؤكد) هذه العملية المنطقية الخالصة، التي تذكّر بعلاقة المنطق الأولى بالقواعد النَّحْوية (نقيضان)[1] وبالرياضيات، إلى أي مدًى يملك هذا المنطق صلاحيته في عالم الواقع، في عالم الكيفيات، وما إذا كان ديالكتيك الكيفيات أمراً مختلفاً، وما إذا كان «التحّول» لا يلعب دوراً آخرَ هنا. من وجهة نظر الأبدية أو *السرمدية*،[2] وما إلى ذلك، لا وجود في الواقع للفراغ على الإطلاق، ولهذا كل شيء موجود، وليس هناك ببساطة أي تحوّل. أن تطرح بهذا المجال التجريدي هو أمر مماثل للإلغاء. لكن أن تعتبر الواقع بنفس الطريقة هو شيء يتاخم بالتأكيد الجنون. يمكن للمرء بتجريدٍ أيضاً أن يقول: إن *الزمن التام* يتبع *الزمن غير التام*،[3] لكن إذا أراد رجلٌ في عالم الواقع أن يستنتج من هذا أنه ترتب على ذلك وترتب على الفور، أن عملاً لم يكمله (غير تام) قد اكتمل: ربما أنه كان مع ذلك مجنوناً. ولكن الأمر كذلك مع ما يسمى موقف الخطيئة، إذا كان الوسط الذي توضع فيه هو فكر خالص، هذا الوسط غير مستقر للغاية بالنسبة إلى الموقف ليؤخذ على محمل الجد.

ومع ذلك، لا يشغلني هنا كل شيء من هذا القبيل. إنني ألتزم باستمرار فحسب بقوة بما هو مسيحي، إن الخطيئة هي موقف ـ لكن ليس كما

---

(1) أي نفي النفي إثبات. (ملاحظة المترجم)

(2) باللاتينية في الأصل: Sub speci æterni, æterno modo. هما تعبيران عن نفس الشيء، ومصدرهما سبينوزا، ومعناهما «من جانب الأبدية، على طريقة الأبدية». (ملاحظة المحرر)

(3) هما Perfectum and Imperfectum، الأول بمعنى الماضي غير التام والثاني بمعنى المضارع، أي أشكال الزمن للفعل الذي يصف على التوالي العمل أو النشاط الكامل وغير الكامل.

يمكن فهمه، بل كمفارقة ينبغي الاعتقاد بها. من وجهة نظري هذه التعاليم صحيحة. لو أن كل المحاولات للفهم يمكن أن تعرض فحسب لتكون نقيضاً ذاتياً، فستحصل القضية، إذن، على موقعها الصحيح، وبالتالي يصبح واضحاً جداً أنه ينبغي ترك مسألة إن كان الفرد سيؤمن أم لا إلى الإيمان. ـ بوسعي أن أفهم (وهذا ليس إلهياً كثيراً بأي حال من الأحوال حتى يُفهَم) أن الشخص الذي عليه في كل الأحوال أن يفهم، ولا يمكنه إلا الاعتقاد بما يدّعي أنه يفهمه، سيجد ذلك هزيلاً جداً. لكن لمّا كانت المسيحية كلها تتوقف على هذا: أنه ينبغي الإيمان بها وليس فهمها، وأنها *إما* أن يُؤمَن بها *وإما* يجب أن يُستاء منها ـ فهل جدير بالثناء أن تُريد أن تفهم؟ أهذه ميزة عظيمة أم أنها بالأحرى وقاحة وعدم تفكير أن تريد أن تفهم، الذي لا يريد أن يُفهم؟ حين تخطر فكرة على بال ملك في أن يكون متخفياً تماماً، وأن يُعامَل مثل رجل عادي تماماً، فهل من الصواب إذن أن تقدم له تحية مَلَكية، لأن الناس ترتَئِي عموماً أنه شرفٌ عظيم أن تفعل ذلك؟ أو أليس الأمر بالضبط هو تأكيد المرء لنفسه وأفكاره ضد إرادة الملك، إذا فعل الشخص كما يريد بدلاً من الإذعان؟ أم هل يا تُرى سيكون الملك مسروراً بالبراعة المتزايدة التي يمكن لمثل هذا الشخص أن يُظهر احترام التابع وفقاً له، عندما لا يرغب الملك في أن يعامَل بهذه الطريقة ـ في الواقع، كلما زادت براعة مثل هذا الشخص يمكن أن يظهر في مخالفة إرادة الملك؟ ـ دَعِ الآخرينَ يعجبون ويمدحون مَن يدّعي أنه قادر على فهم المسيحية: أنا أعتبرها مهمة أخلاقية صريحة، التي ربما لا تتطلب قليلاً من نكران الذات في هذه الأزمنة التأملية للغاية، عندما يكون كل «الآخرين» منهمكين بالفهم، للاعتراف عندها أن الإنسان لا يستطيع وليس مجبراً أن

يفهمها. هذا هو بالضبط بلا شك ما هو عصرنا، وما تحتاج إليه المسيحانية: القليلِ من الجهل السقراطي فيما يتعلق بالمسيحية، لكن أرجوكم لاحظوا: جهل «سقراطي» قليل. دعونا لا ننسَ أبداً ـ لكن كم من الناس يعرفون حقاً أو يفكرون بها ـ دعونا لا ننسَ أبداً أن جهل سقراط كان ضرباً من خشية وعبادة اللّه، أن جهله كان النسخة اليونانية للعبارة اليهودية: إن خشية الرّب هي بداية الحكمة.[1] دعونا لا ننسَ أبداً أنه كان جاهلًا بدافع تبجيل اللّه، وأنه بقدر ما كان ممكناً بالنسبة إلى الوثني ذلك، كان يقوم بواجب الحراسة كقاضٍ على الحدود بين اللّه والإنسان، ويراقب بحيث إن الهوة العميقة في الاختلاف النوعي بينهما يُحافَظ عليها، بين اللّه والإنسان، وأنه لا يمكن دمج اللّه ـ والإنسان بطريقة ما، فلسفية وشعرية وما شابه ذلك، في واحد. انظر، لهذا كان سقراط رجلاً جاهلاً، ولذلك عرفه الإله بوصفه الأكثر علماً. ـ لكن المسيحية تعلّم أن كل المسيحية موجودة للإيمان فقط، و (تعلم) لهذا السبب على وجه التحديد أنه سيكون جهلا سقراطيا ورِعاً يدافع من خلال الجهل عن الإيمان ضد التأمل، مُحَذِّرةً أنه يجب تثبيت عمق الاختلاف النوعي بين الله والإنسان، كما هو الحال في المفارقة والإيمان، وأن لا يتشارك الله والإنسان في الوثنية بطريقة فلسفية وشعرية وما شابه، بشكل مخيف أكثر من أي وقت مضى، في واحدٍ ـ في النظام.

أن تكون الخطيئة موقفاً هو أمرٌ يمكن توضيحه من جانب واحد فقط. في القسم السابق حول اليأس أُشيرَ باستمرار إلى نطاق تصاعدي. التعبير عن هذا التدرج كان جزئياً في تصاعد الوعي حول الذات، وجزئياً في تشديد عبارة عن الانتقال من المعاناة إلى عملٍ واعٍ. أفاد كلا التعبيرين معاً

(1) خشية اللهّ بداية الإيمان، انظر في أماكن عديدة في الكتاب المقدس، العهد القديم.

أن اليأس لم يأتِ من الخارج بل من الداخل، وأنه يكون بنفس الدرجة أيضاً أكثر وأكثر كموقف.[1] لكن وفقاً للتعريف المطروح عن الخطيئة، الذات التي تركزت بلا حدود من خلال مفهوم اللّه هي جزء من الخطيئة وهي أيضاً أعظم وعيٍ ممكن عن الخطيئة كفعل. ـ هذا يدل على أن الخطيئة هي موقف، فوجودها أمام اللّه هو بالتأكيد العنصر الإيجابي فيها.

علاوة على ذلك، يمتلك التعريف القائل بأن الخطيئة موقف، بمعنى مختلفٍ، إمكانية الإساءة، مفارقة فيه. المفارقة هي بالضبط نتيجة عقيدة الكفّارة. تمضي المسيحية أولاً وقبل كل شيء قدماً إلى تثبيت الخطيئة كموقفٍ بشكل حازم، بحيث لا يستطيع العقل البشري فهمها أبداً، ومن ثَمّ فإنها هذه نفس العقيدة المسيحية التي تشرع بإلغاء هذا الموقف بطريقةٍ ليس بوسع العقل الإنساني أن يفهمها أبداً. التأمل الذي يتحدث عن نفسه من المفارقات، يقتطع قليلاً من كلا الطرفين، لذا يصبح الأمر أسهل: إنه لا يجعل الخطيئة إيجابية تماماً ـ ومع ذلك لا يمكنه أن يدرك في عقله أنه يجب نسيان الخطيئة تماماً. لكن المسيحية، المكتشِف الأول للمفارقات، هي فيما يتعلق بهذه النقطة مفارِقة أيضاً بقدر الإمكان. يبدو أنها تعمل ضد نفسها بتثبيت الخطيئة كموقف، بحيث يبدو الآن من المستحيل تماماً القضاء عليها مرة أخرى ـ ومن ثَم فإن هذه المسيحية، التي تريد بالذات عن طريق الكفّارة[2] إلغاء الخطيئة تماماً ثانيةً، تلوح كأنها غرقت في البحر.

---

(1) في الأصل Ponerende.

(2) ترجمة لـ forsoningen. ويمكن أن تترجم حرفياً إلى «المصالحة، الصلح، تسوية وغيرها».

ملحق لـ«أ»

لكن، بمعنًى ما، ألا تصبح الخطيئة نادرة للغاية؟

(الأخلاق)

ذكرنا في الجزء الأول أنه كلما ازداد اليأس حدّةً، أصبح نادراً في العالم. ولكن إذا كانت الخطيئة الآن هي اليأس المركّز نوعياً مرة أخرى، فينبغي افتراضاً أن يكون هذا اليأس نادراً تماماً. يا لها من معضلة غريبة! تُخضع المسيحية كلَّ شيء للخطيئة، ولقد سعينا أن نصف وجهة نظر المسيحية بدقة كبيرة على قدر الإمكان ـ فتظهر هذه النتيجة الغريبة، هذا الاستنتاج الغريب وفحواه أن الخطيئة لا توجد في الوثنية على الإطلاق، بل في اليهودية والمسيحية فقط، وهي هناك مرة أخرى نادرة جداً.

ومع ذلك، فهذا صحيح تماماً، لكن بمعنًى واحد فقط وبهذه الطريقة. «بعد أن أُبلِغ بوحي من اللّه عن ماهية الخطيئة، فاليأس أمام اللّه ليس أن يريد أن يكون ذاته، أو اليأس من أن يكون ذاته»، هو خطيئة ـ وبالفعل، نادراً ما يكون هناك إنسان ناضج جداً وشفاف جداً مع نفسه إلى درجة أن هذا يمكن أن ينطبق عليه. لكن ما الذي ينتج عن ذلك؟ هنا يجب على الإنسان أن يهتم كثيراً، لأن هناك منعطفاً ديالكتيكياً خاصّاً. لم يُتَوَصَّل إلى نتيجة مفادها أن الإنسان الذي ليس في حالة يأس أكثر كثافة، هو لذلك

ليس في حالة يأس. على العكس من ذلك، فقد ظهر على وجه التحديد أن الغالبية العظمى من الناس في حالة يأس، لكن بدرجة أقل من اليأس. لكن ليس هناك جدارة في أن تكون يائساً بدرجة أعلى. من الناحية الجمالية هذا أفضلية، لأنه هناك من الناحية الجمالية اهتمام فقط بالحيوية. ولكن، أخلاقياً، فإن شكل اليأس الأكثر كثافة أبعد من الخلاص من الشكل الأدنى.

وهكذا الأمر أيضاً مع الخطيئة. تتسم معظم حياة الناس بديالكتيك اللا مبالاة، وتعيش حياةً بعيدة جداً عن الخير (الإيمان)، بحيث إنها بلا روح تقريباً كي تسمّى خطيئة - في الواقع، تكاد تكون بلا روح لتُسَمَّى يأساً.

من المؤكد أنه ليس هناك ميزةٌ في أن تكون مخطئاً [من الخطيئة، أو أن تكون آثماً] بالمعنى الدقيق للكلمة. ولكن من الجانب الآخر، كيف سيمكن العثور بحقّ الكون على وعيٍ أساسي بالخطيئة (ولاحظ، هذا ما تريده المسيحية على الأرجح) في حياةٍ منغمرة على هذا النحو في السطحية والتقليد السخيف «للآخرين»، بحيث يصعب وصفها بالخطيئة، وهي بلا روح لتُدعى خطيئة، وتستحق فقط ما يقوله الكتاب المقدس(1) «سأتقيَّؤُك».

مع ذلك، لم تنتهِ المسألة، لأن جدلية الخطيئة ببساطة تأسر بطريقة أخرى. كيف يحدث أن تصبح حياة الإنسان بلا روح إلى درجة أن المسيحية على ما يبدو لا يمكنها أن تؤثر فيها على الإطلاق، تماماً كما هي الحال عندما لا يمكن استخدام رافعة (وبالتالي مثل رافعة تكون بهذه الطريقة رافعة للمسيحية)، وذلك لعدم وجود أرض صلبة، بل فقط أرض طحلبية ومستنقع؟ أهو شيء يحصل للإنسان؟ لا، إنه ذنب الإنسان. لا

(1) انظر إنجيل يوحنا: 3، 16.

أحد يولد بلا روح، وبغض النظر عن عدد الذين مضوا إلى موتهم مع هذه اللا روحانية باعتبارها المكسب الوحيد من الحياة ـ فهذا ليس ذنب الحياة.

مع ذلك، يجب أن يقال، ومن دون تحفظ قَدْر الإمكان، إن ما يسمى بالمسيحانية (التي فيها كل ملايين المسيحيين هذه على هذا النحو كأمر مفروغ منه، وعليه هناك عدد كبير ـ بالضبط ـ من المسيحيين مثلما هناك بشر) ليس فقط نسخة بائسة لما هو مسيحي، مملوءة بأغلاط مطبعية تشوّه المعنى ومملوءة بحذوفات وإضافات طائشة، بل هي أيضاً إساءة استخدام لها أيضاً، تدنيس وإفساد للمسيحية. بالكاد يولد في بلاد صغيرة ثلاثة شُعَراء في أي جيل واحد، ولكن هناك الكثير من الرهبان، أكثر بكثير مما يمكنهم الحصول على تعيين. يقال إن الشاعر لديه دعوة، لكن أن تصبح قسّاً فيكفي في تصور معظم الناس (وبالتالي معظم المسيحيين) أن تجتاز امتحاناً. ومع ذلك، فإن القس الحقيقي هو حتى أكثر ندرة من الشاعر الحقيقي. في الواقع، كانت كلمة «دعوة» تنتمي في الأصل إلى المقدس. ولكن ما تزال هناك في المسيحيانية بقايا من الفكرة القائلة بأن كون المرء شاعراً هو شيء، بينما هنا شيء لكونه دعوة. ومع ذلك، أن تكون قسّاً في نظر معظم الناس (أي بنظر معظم المسيحيين) قد تَخَلّى عنه أيّ تصوّر رفيع، إنها *بلا لف أو دوران*[1] طريقة لكسب العيش خالية من أصغر لغز. «الدعوة» تعني وظيفة رسمية، فالتعبير «أن تحصل على دعوة» استُخدم، لكن «أن تملك دعوة»، حسناً، استُخدِم ذلك أيضاً، عن شخص لديه دعوة ليتخلى عنها.

---

(1) في الأصل باللاتينية In puris naturalibus. والمعنى الحقيقي هو في حالة طبيعية خالصة، لكن المعنى هنا هو *من دون لف أو دوران*.

للأسف، مصير هذه الكلمة في المسيحيانية يشبه شعار المسيحية بأكملها. لا تكمن المشكلة في أنه لا يُعَبَّر عن المسيحية (وبالتالي فالمشكلة هي ليست أيضاً في عدم وجود عدد كافٍ من القساوسة)، ولكن في أنه يُعَبَّر عنها بطريقة تجعل الأغلبية تعتقد في النهاية أنها غير منطقية تماماً (تماماً كما تعتبر الأغلبية أن كونك قسيساً لا يختلف على الإطلاق بشيء عن السعي كلياً إلى أن تكون تاجراً، محامياً، مجلِّد كتب، أو طبيباً بيطرياً، وما إلى ذلك)، بحيث لا تترك الأشياء السامية والمقدسة أيَّ انطباع البتة، لكنها تمنح صوتاً ويُستَمَع إليها مثل شيء بات الآن، اللّه يعرف لماذا، عادةً وتقليداً، من ثَم أموراً كثيرة أخرى. إذن، العجيب أنهم ـ بدلاً من إيجاد أن تصرفهم الشخصي لا يمكن الدفاع عنه ـ يجدون أن من الضروري الدفاع عن المسيحية.

بالتأكيد لا بد أن يكون القس مؤمناً. مؤمنٌ!

لكن المؤمن عاشق. نعم، إنه عاشق أكثر من كل العشاق. في الواقع، من حيث الحماسة، فإن أكثر العشاق حماسةً ليس سوى مراهق مقارنة بالمؤمن. تصوّر عاشقاً الآن: أليس صحيحاً أنه سيكون قادراً على الحديث عن حبيبه يوماً بعد يوم، طوال النهار وكل الليل أيضاً؟ لكن هل تعتقد أنه سيخطر بباله، هل تعتقد أنه سيكون ممكناً بالنسبة إليه، ألا تعتقد أنه سيجد الأمر مقرفاً أن يتحدث بطريقة بحيث يسعى إلى البرهنة من خلال ثلاثة أسباب على أن هناك شيئاً مع ذلك في أن يكون عاشقاً ـ إلى حد ما كما يبرهن القس عن طريق ثلاثة أسباب، على أن الصلاة مفيدة، لأن الصلاة غدت رخيصة للغاية بحيث إنه من أجل إعلاء مكانتها قليلاً يجب تقديم ثلاثة أسباب، أو الطريقة التي يبرهن

فيها القس ـ وهذا هو نفس الشيء، بل هو أكثر سخافة ـ أن الصلاة نعمة «تفوق كل فهم». أوهٍ، أي إسفاف لا قيمة له، أن شيئاً يفوق العقل يمكن البرهنة عليه بثلاثة أسباب، التي، إذا كانت تفعل أي شيء على الإطلاق، فمن المفترض أنها لا تتجاوز كل الفهم، بل على العكس تماماً، تجعل الأمر لا محالة واضحاً للفهم، أن هذا النعيم لا يتجاوز الفهم بأي حال من الأحوال، لأن «الأسباب» مع ذلك تقع ضمن نطاق العقل. لا، لأن ذلك الذي يتجاوز كل فهم ولأي شخص يؤمن به، لا تعني ثلاثة الأسباب أكثر من ثلاث زجاجات أو ثلاثة غزلان!

ـ ولنواصل، هل تعتقد أن عاشقاً سيفكر ذات مرة في الدفاع عن كونه في حالة حب، أي أن يعترف أنه لم يكن المطلق بالنسبة إليه، المطلق اللا مشروط، ولكنه فكر به بطريقة مع الاعتراضات ضده، ومن ذلك بدأ الدفاع، أي هل تعتقد أن بوسعه أو سيريد أن يعترف أنه لم يكن عاشقاً، ويعلن عن نفسه أنه لم يكن عاشقاً؟ وإذا توجب على أحد أن يقترح على عاشق بأن يتكلم بهذه الطريقة، ألا تعتقد أن العاشق سيعتبر الشخص مجنوناً وإذا كان ـ بالإضافة إلى كونه عاشقاً ـ أيضاً نوعاً من مراقب، ألا تعتقد أنه سيشك بأن الشخص الذي قدم له هذا الاقتراح لم يعرف أبداً ما هو الحب، أو أراده أن يخون وينكر حبه ـ بالدفاع عنه؟

ـ أليس هذا واضحاً، مع ذلك، أن هذا الذي هو حقاً عاشق لن يخطر بباله أبداً أن يريد إثباته عن طريق ثلاثة أسباب، أو أن يدافع عنه، لأنه شيء أكثر من كل الأسباب وكل دفاع: إنه عاشق. ومن يفعل ذلك ليس بعاشق، إنه يتظاهر فحسب بأنه كذلك، ولسوء الحظ ـ أو لحسن الحظ ـ إنه غبي للغاية بحيث يعلن فحسب ضد نفسه أنه ليس بعاشق.

لكن هذه الطريقة هي بالضبط التي يتحدثون بها عن المسيحية ـ أولئك القسس المؤمنون: إما أن «يدافعوا» عن المسيحية وإما أن يحيلوها إلى «أسباب»، إذا لم يمضوا قدماً وعبثوا بشكل تأملي بفهمها. هذا ما يسمى وعظاً، ويعتبر هذا النوع من الوعظ في المسيحية بالفعل أمراً عظيماً، إلى جانب أن هناك من يعظ بهذه الطريقة وأن بعضاً يصغون إليه. ولهذا بالتحديد تكون المسيحانية (وهذا هو الدليل على ذلك) بعيدة كل البعد عن أن تكون ما تطلق على نفسها، بحيث إن حياة معظم الناس، بمعنًى مسيحي، تكون بلا روح لتُسمّى خطيئة بمعنًى مسيحي صارم.

(ب)

استمرارية الخطيئة

كل حالة خطيئة هي خطيئة جديدة، أو للتعبير بدقة أكبر، كما سنقوم في الجزء التالي، حالة الخطيئة تكون خطيئة جديدة، هي الخطيئة. ربما يحسب الآثم هذا مبالغة، إنه يعترف في أقصى حد أن كل خطيئة فعلية جديدة هي خطيئة جديدة. لكن الأبدية التي تحافظ على حسابه ينبغي أن تسجل حالة الخطيئة كخطيئة جديدة. ولديها اثنتان فقط من قواعد التقييم، و«كل ما لم يأتِ من الإيمان هو خطيئة»، كل خطيئة غير تائبة هي خطيئة جديدة، وكل لحظة تبقى غير تائبة هي خطيئة أيضاً. لكن ما أندر الإنسان الذي لديه استمرارية فيما يتعلق بوعيه لنفسه! يكون الناس كقاعدة واعين للحظات فحسب، واعين وسط القرارات الكبرى، لكن لا يأخذون بالحسبان اليومي على الإطلاق. هم روح من نوع ما لساعة ومرة واحدة في الأسبوع - غنيٌّ عن القول أنها بالطبع طريقة فظة إلى حد ما لتكون روحاً. لكن الأبدية هي الاستمرارية الأساسية، وهي تطلب من هذا الشخص أو ذاك أن يكون واعياً كروح ولديه إيمان. الآثم، مع ذلك، هو تحت قوة الخطيئة إلى درجة أنه لا يمتلك أي فكرة عن قرارها الكامل، وأنه خسرها وهو في طريقه إلى الهلاك. إنه يأخذ بالحسبان كل خطيئة واحدة جديدة فقط، التي يبدو أنها تمنحه قوة دافعة على طريق الهلاك، تماماً كما لو أنه لم يمضِ على هذا

الطريق في اللحظة السابقة مع كل خطاياه السابقة. لذا أصبحت الخطيئة طبيعية له، أو صارت الخطيئة له الطبيعة الثانية، بحيث إنه يجد اليومي أمراً طبيعياً تماماً، وهو نفسه يتوقف للحظة فقط في كل مرة يرى فيها دافعاً جديداً، إذا جاز التعبير، من خلال خطيئة جديدة. في ضياعه، إنه أعمى بإزاء كون حياته تحوز استمرارية الخطيئة بدلاً من الاستمرارية الجوهرية للأبدية من خلال الوجود أمام اللّه في الإيمان.

لكن «استمرارية الخطيئة»، أليست هي بالتحديد عدم الاستمرارية؟ إذن هي ذي هنا مرة أخرى، هذه النظرة القائلة بأن الخطيئة مجرد نفي، لا يمكن أبداً إضفاء الشرعية عليها، مثلما لا يمكن إضفاء الشرعية على بضائعَ مسروقة ـ (وهو) نفي، محاولة عاجزة عن إثبات نفسها، والتي مع ذلك تخضع لكل عذاب العجز في التحدي اليائس، فهي كذلك غير قادرة على القيام بذلك. نعم، هذه هي الطريقة التأملية، لكن، من وجهة نظر مسيحية، الخطيئة هي (ويجب الإيمان بهذا، ما دامت هي بالفعل مفارقة لا يمكن لأي إنسان فهمها) موقف يطوّر في حد ذاته استمرارية ثابتة متزايدة.

وقانون نمو هذه الاستمرارية هو أيضاً قانون يختلف عن قانون تراكم الدَّين، أو قانون النفي. فالدَّين لا يتراكم لأنه لم يُدفع، إنه ينمو في كل مرة يزداد فيها. لكن الخطيئة تنمو مع كل لحظة لا يتجرد الإنسان منها. والآثم مخطئ للغاية في اعتبار كل خطيئة جديدة فقط كزيادة في الخطيئة، بحيث، وطبقاً لوجهة نظر المسيحية، إن حالة الخطيئة الحقيقية هي فعلاً أكبر خطيئة من الخطيئة الجديدة. هناك حتى مَثَلٌ يقول: أن تأثم أمر إنساني، لكن البقاء في الخطيئة شيطاني. لكن مسيحياً، يجب فهم هذا المثل بالتأكيد بشكل مختلف. الملاحظة المتعجلة التي تنظر فحسب إلى الخطيئة الجديدة

وتتخطى ما يكمن بينها، تتجاوز ما بين الخطيئتين المعنيّتين، هي سطحية تماماً مثل افتراض أحدٍ أن القطار يتحرك فقط عندما تنفث القاطرة. لا، هذا النفخ والاندفاع الذي يليه ليس حقاً ما ينبغي النظر إليه، بل السرعة المنتظمة التي تسير بها القاطرة والتي تولّد هذا النفخ. وهكذا هي الحال مع الخطيئة. حالة الخطيئة هي، بمعنًى أعمق، الخطيئة، الخطايا الفردية ليسَتِ استمرارَ الخطيئة، لكن التعبير عن استمرار الخطيئة. في الخطيئة الجديدة يصبح دافع الخطيئة أكثر حساسية لملاحظته.

حالة الخطيئة هي أسوأ خطيئة من الذنوب الفردية، وهي الخطيئة. وعليه فإن الثبات أو التباطؤ في الخطيئة يكون استمرارَ الخطيئة، هو خطيئة جديدة. الرأي الشائع مختلف، وهو أن خطيئة واحدة تلد خطيئة جديدة. لكن لهذا سبب أعمق بكثير، وهو أن حالة الخطيئة هي خطيئة جديدة. السطر الذي أعطاه شكسبير لماكبث رائعٌ سيكولوجيّاً (الفصل الثالث، المشهد الثاني):[1]

Sündentsproßne Werke erlangen nur durch Sünde Kraft und Stärke.

(الأعمال التي تنشأ في الخطيئة تكتسب القدرة والقوة من خلال الخطيئة فقط). بكلمات أخرى، لدى الخطيئة في أعماقها اتساق، وفي هذا الاتساق في الشر نفسه لها قوة معينة أيضاً. لكن لا يمكن الوصول أبداً إلى مثل هذه الملاحظة عن طريق النظر فحسب إلى الذنوب الفردية.

ربما يعيش معظم الناس بوعيٍ ضئيل عن أنفسهم حتى يكون لديهم

---

(1) شكسبير، في الطبعة العادية الفصل الثالث، المشهد الثاني. في الأصل بالألمانية:
Sündentsproßne Werke erlangen nur durch Sünde Kraft und Stärke.

أي فكرة عن ما هو الانسجام، أي إنهم غير موجودين *باعتبارهم* روحاً. تتكون حياتهم ـ إما في سذاجة صبيانية معينة محببة وإما في تفاهة ضحلة ـ من بعض الحوادث، من هذه وتلك، أحياناً يقومون بعمل جيد، من ثم بشيء غبي، من ثم يبدؤون من جديد. حالياً هُم في حالة يأس لفترة ما بعد الظهر، وربما لمدة ثلاثة أسابيع، ولكنهم بعد ذلك رفقاء مرحون، من ثم مرة أخرى في حالة يأس ليوم واحد. إنهم يلعبون كما يقال في الحياة، لكنهم لم يجربوا أبداً وضع كل شيء في شيء واحد، ولم يحققوا أبداً فكرة الانسجام الذاتي اللا متناهي. لذلك يوجد بينهم حديث مستمر فقط عن أعمال صالحة فردية، وذنوب فردية.

كل وجود يكون ضمن تعريف الروح، حتى لو كان ذلك على مسؤوليته الخاصة فقط، وعلى مجازفته، يمتلك انسجاماً داخلياً أساسياً وانسجاماً في أمر أعلى، على الأقل في فكرة. لكن لدى مثل هذا الشخص خوفٌ كبير من أي عدم انسجام، إذ لديه تخوف هائل مما يمكن أن تكون النتيجة، بحيث إنه يمكن أن ينتزع من الكلّيّانية التي يعيش فيها. وأصغر اختلال هو خسارة هائلة، لأنه يفقد التجانس. في تلك اللحظة بالذات ربما يُفَكّ السحر، وتتضاءل القوة الخفية التي ربطت كل قدراته بانسجام، ويرتخي اللولب الحلزوني، وربما يتحول كل شيء إلى فوضى حيث تتقاتل القوى بعضها مع البعض الآخر في تمرد وتغرق الذات في المعاناة، فوضى لا يوجد فيها أي توافق ولا زخم ولا *قوة دافعة*. الآلة الهائلة، التي كانت باتساق سهلة الانقياد في قوتها الحديدية ومرنة للغاية في كل قوتها، معطلة، وكلما كانت الآلة أكثر فخامة كانت أكثر قوة، وكان الارتباك المترابط مرعباً ـ فالمؤمن الذي يستقر ويملك حياةً في استمرارية الخير، لديه خوف لا محدود من

أصغر خطيئة، لأنه يواجه خسارة لا نهائية. الأفراد التلقائيون، الصبيانيون أو البشر ذوو الطفولية، لا يملكون كليّانية كي يخسروها، فهم يخسرون ويربحون دائماً شيئاً خاصّاً أو شيئاً في الخاص.

ولكن كما هي الحال مع المؤمن فيما يتعلق بثبات الخطيئة الجوّاني، فالأمر أيضاً مع نقيضه، الشخص الشيطاني. وضعُ الشخص الشيطاني شبيهٌ بذلك السكّير الذي يُبقي نفسه في حالة سكر دائم خوفاً من التوقف والإعياء الذي سيصاحبه وعواقبه المحتملة، إذا كان سيبقى صاحياً تماماً ليوم واحد. في الواقع، هناك أمثلة لنفس السلوك تماماً في الشيطاني والصالح، الذي عندما يتقدم له أحد بشكل غاوٍ مصوِّراً له الخطيئة بشكل أو آخر مغرٍ، ويطلب إليه «لا تغوِني!». في مواجهة شخص أقوى منه في الخير، يمكن للشيطاني عندما يُوصَف الخير من قبل ذلك الشخص بكل سموّه أن يدافع عن نفسه، ويمكنه أن يدافع بالدموع أن هذا الشخص لن يتحدث إليه، وأنه لن، كما يعبّر هو عن ذلك، يجعله ضعيفاً. بالضبط لأن الشخص الشيطاني يملك ثباتاً جوّانياً ويكون منسجماً في استمرارية الشر، لديه أيضاً كليانية كي يخسر. لحظة واحدة من عدم الاتساق، تهور غذائي واحد، نظرة جانبية واحدة، لحظة واحدة من النظر إلى كل شيء أو مجرد جزء بطريقة أخرى - وربما عندها لن يكون هو نفسه ثانيةً، هكذا يقول. أي إنه تخلى عن الخير يائساً، وهذا لا يمكن أن يساعده بأيّ حال، لكن سيزعجه بالتأكيد، ويمكن أن يجعل من المستحيل عليه أن يحقق مرة أخرى الزخم الكامل من الثبات، ويمكن أن يجعله ضعيفاً. في استمرار الخطيئة فقط يكون ذاته، وفي ذلك فقط يعيش ويملك انطباعاً عن نفسه. لكن ماذا يعني هذا؟ يعني أن حالة الخطيئة هي ما يبقيه متماسكاً في أعماق

المكان الذي غرق فيه، وتقوّيه بشكل تجديفي بثباتها. إنها ليست الخطيئة الجديدة الوحيدة التي تدعمه (نعم، إنه مخبول بشكل مرعب!)، لكن هذه الخطيئة الوحيدة هي مجرد تعبير عن حالة الخطيئة، التي هي الخطيئة فعلاً.

ولهذا فإن «استمرار الخطيئة»، الذي سنناقشه الآن، لا يعني الخطايا الجديدة الفردية بقدر ما يعني حالة الخطيئة، الذي يصبح بدوره تكثيفاً جوّانيّاً للخطيئة، البقاء بوعي في حالة الخطيئة، بحيث يكون قانون الحركة في التكثيف، هنا كما في كل مكان آخر، داخلياً، في شدّة وعي أكبر وأكبر.

(أ)

خطيئة اليأس على خطيئته

الخطيئة هي اليأس، والزيادة (في الشدة) هي الخطيئة الجديدة بأن ييأس المرء على خطيئته. من السهل أيضاً ملاحظة أن هذا مفهوم الزيادة. إنها ليست خطيئة جديدة على طريقة من سرق مرة 100 دولار ويسرق 1000 دولار في المرة التالية. كلا، لا نتحدث عن خطايا فردية هنا. حالة الخطيئة هي الخطيئة، وهي تتفاقم في وعي جديد.

اليأس على خطيئته يدل على أن الخطيئة قد أصبحت أو تريد أن تكون متماثلة في ذاتها. ولا دخل لها في الحصول على الخير، ولا تريد أن تكون ضعيفة بما يكفي للإصغاء أحياناً إلى حديث آخر. لا، إنها تصرّ على الإصغاء إلى نفسها فقط، وأن تتعامل مع ذاتها فقط، وتغلق نفسها داخل نفسها، في الواقع، تغلق على نفسها داخل مكان آخر مغلق أكثر، وتحمي نفسها ضد كل هجوم أو مسعًى من قبل الخير باليأس على الخطيئة. إنها واعية بحرق الجسر خلفها، وبالتالي يتعذر الوصول إليها من أجل الخير، والخير لا يكون سهل المنال لها، ولذلك إذا كان من المفترض أن يكون ذلك جيداً في لحظة ضعف، فسيظل ذلك مستحيلاً. الخطيئة ذاتها هي انفصام عن الخير، لكن اليأس على الخطيئة هو الانفصام الثاني. هذا، بالطبع، يستنزف أعظم القوى الشيطانية من

الخطيئة، ويهبها الصلابة المدنّسة أو العناد الذي يجب عليه اعتبار كلّ شيء بشكل مستمر توبةً ورحمة، ليس فقط باعتباره بلا معنًى وفارغاً، ولكن أيضاً كعدوّها، كشيء يجب مقاومته قبل كل شيء، تماماً كما يحمي الخيرُ نفسَه من الإغراء. ويفهم على هذا النحو، فهو كلام صحيح لمفيستوفيلس في (فاوست)، أنه لا يوجد أكثر بؤساً من الشيطان الذي ييأس؛ بما أنه ينبغي أن يفهم اليأس هنا، أن ترغب أن تكون ضعيفاً بما يكفي لسماع أيّ شيء عن التوبة والرحمة. لوصف الحكم في العلاقة بين الخطيئة واليأس على اليأس، يمكن القول إن الأول هو الانفصال عن الخير، والثاني الانفصال عن التوبة.

اليأس على الخطيئة هو محاولة للبقاء على قيد الحياة من خلال الغوص حتى درجة أعمق. مثل هذا الذي يرتفع في منطاد، يرتفع عن طريق التخفيف من الوزن، كذلك يغرق اليائس من خلال اتخاذ القرار بالتنصل من كل خير (لأن ثقل الخير يكون رافعاً)، إنه يغطس، على الرغم من أنه يعتقد بحق أنه يرتفع ـ وأنه يصبح في الواقع أخف. الخطيئة ذاتها هي صراع اليأس، لكن عندما تُستنفد القوى، فربما تكون هناك تقوية جديدة، انطواء شيطاني جديد، وهذا هو اليأس على الخطيئة. هذا تقدم، ارتفاع في الشيطاني، تعمّق طبيعي في الخطيئة. إنه محاولة لمنح الخطيئة موقفاً واهتماماً كقوة، وعليه يجب الآن أن يكون محسوماً إلى الأبد أن المرء لن يسمع أيّ شيء عن التوبة ولا أيّ شيء عن الرحمة. لكن مع ذلك، فاليأس على الخطيئة هو على وجه التحديد وعيُ خوائها الخاص، أنْ ليس لديها أقل ما تعيش منه، ولا تملك حتى فكرةً عن ذاتها. إنها كلمات سايكولوجية

رائعة من ماكبث (الفصل الثاني، المشهد الثاني)[1] (بعد أن قتل الملك، والآن هو يائس على خطيئته):

«von jetzt giebt es nichts Ernstes mehr im Leben; Alles ist Tand gestorben Ruhm und Gnade».[2]

وما هو رائع هو الإيقاع الثنائي في الكلمات الأخيرة «الشهرة والرحمة». من خلال اليأس، أي من خلال اليأس على الخطيئة، قد فقد كل علاقة بالرحمة ـ وبنفسه أيضاً، وتُتَوَّج ذاتُه الأنانية في الطموح. ذلك أنه الآن أصبح ملكاً، ومع ذلك، في اليأس على خطيئته ومن حقيقة التوبة والرحمة [النعمة، الفضل]، قد خسر نفسه أيضاً. إنه لا يستطيع حتى أن يستمر في المضي قدماً بنفسه، وهو بعيد تماماً عن كونه قادراً على الاستمتاع بنفسه في أوج طموحه أكثر من اقتناص الرحمة.

في الحياة (بقدر ما يُعثَر على اليأس على الخطيئة في الحياة، ولكن في أي حال هناك شيء يسميه الناس على هذا النحو) توجد مفاهيمُ خاطئة غالباً حول هذا اليأس على الخطيئة، ومن المحتمل بسبب الانشغال العام بالسفاهة والافتقار إلى التفكير والتفاهة المحضة، ولهذا السبب يصبح الناس كقاعدة رسميين تماماً، ويرفعون قبعاتهم باحترام لكل مظهر من مظاهر أي شيء أعمق. إمّا في الغموض المربك على نفسه وعلى أهميته،

---

(1) انظر:

Macbeth, IV Bd. S. 412.

(2) «من الآن فصاعداً لا يوجد شيء جاد في الحياة. كل شيء هو مجرد ألعاب، ماتت الشهرة والنعمة».

وإما بلمسة من النفاق أو بمساعدة الدهاء والسفسطة التي يحملها كل اليأس معه، لا يكون اليأس على الخطيئة ميّالاً إلى منح نفسه مظهراً بكونه جيداً. بالتالي يُفترَض أن يكون تعبيراً عن طبيعة عميقة، تكون لذلك حساسة جداً حول خطيئتها. سأقدم مثالاً: لو أن شخصاً قاوم بنجاح الإغواء لفترة طويلة وانتكس واستسلم ثانية إلى الغواية، فإن الغم الذي يحدث لن يكون بأي حال من الأحوال حزناً دائماً على الخطيئة. يمكن أن يكون شيئاً مختلفاً تماماً، في هذا الصدد يمكن أن يكون أيضاً سخطاً على العناية الإلهية، كما لو أنها مسؤولة عن استسلامه إلى الغواية، وكما لو توجب عليها ألا تكون قاسية عليه ما دام أنه قاوم بنجاح ولفترة طويلة ضد الغواية. لكن على أية حال هذا أمر مخنّث في الحال باعتباره خيراً، وألا يكون على الأقل واعياً بهذه الازدواجية الموجودة في كل العاطفة، التي بدورها هي إحساس بالنذر الذي يمكن أن يجعل هذه الفرد العاطفي يفهم لاحقاً، إلى درجة الجنون تقريباً، أنه قال عكس ما كان يقصد أن يقوله تماماً. مثل هذا الإنسان يعلن بشكل قاطع، وربما بعبارات أقوى من أي وقت مضى، إلى أي مدى تحرجه هذه الانتكاسة وتعذّبه وتدفعه إلى اليأس، ويقول: «لن أغفر لنفسي على هذا أبداً». وكل هذا سيكون تعبيراً عن كمية الخير الكامنة فيه، وأي شخصية عميقة هو. وهذا تعمية للكلام. لقد سمحتُ عن عمد بدخول هذه العبارة العادية في العرض «لن أغفر لنفسي أبداً»، وهي كلمات تُسمع عادةً في هذا الشأن. يمكن للمرء بتلك العبارة بالتحديد توجيه نفسه أيضاً ديالكتيكياً على الفور. إنه لن يغفر لنفسه أبداً ـ لكن إذا أراد اللّه الآن أن يغفر له هذا، حسناً، بالتأكيد يمكنه أن يسامح نفسه. لا، يأسه على الخطيئة بعيد كل البعد عن كونه مؤهلاً للخير، فهو مؤهل أكثر

كثافة للخطيئة، تكون شدته هي الانغماس في الخطيئة ـ وهذا هو الأهم من ذلك كله عندما يكرر هذه العبارة بحماسة، وبالتالي يستنكر نفسه (على أقل تقدير) عندما «لن يغفر لنفسه أبداً» لأنه أثم بهذه الطريقة (لأن هذا النوع من الكلام هو بالضبط عكس الهلاك التائب الذي يدعو اللّه أن يغفر). المسألة هي أنه، في الوقت الذي كان يقاوم فيه الغواية بانتصار، بدا له في عينيه أن يكون أفضل مما هو في الواقع، لقد أصبح فخوراً بنفسه. إنه لمن مصلحة هذه الكبرياء أن يكون الماضي كله الآن شيئاً من أمر الماضي تماماً. لكن في الانتكاسة يصبح الماضي فجأة مرة أخرى حاضراً تماماً. لا تستطيع كبرياؤه تحمل هذا التذكير، ومن هنا عمق الحزن وما إلى ذلك. لكن اتجاه الحزن يكون بوضوح حركة بعيدة عن اللّه، أنانية خفية وكبرياء، بدلاً من البدء بشكل متواضع بشكر اللّه بتواضع، الذي ساعده مع ذلك لفترة طويلة ليقاوم الغواية، معترفاً أمام اللّه ونفسه أن هذا بالفعل أكثر بكثير مما استحق، ومن ثَم يتواضع تحت ذكرى ما كان عليه.

هنا، كما في كل مكان، نجد ما تشرحه كل النصوص التهذيبية[1] بعمق للغاية، وبخبرة كبيرة وبتوجيه كبير. إنها تعلّم أن اللّه يسمح للمؤمن أحياناً بالتعثر والوقوع في هذه أو تلك الغواية ـ لإذلاله فقط ومن ثَم تقويته في الخير. التناقض بين الانتكاسة وربما التقدم المهم في الخير متواضع للغاية، والتماهي مع ذاته مؤلم للغاية. كلما كان الإنسان أفضل، كانت

(1) Taulers Pedigten (Berlin 1842) 3. Bd. S. 36.
الترجمة الحرفية هي «النصوص البنّائية». والبنّاء والبنائية يستخدمها كيركگورد كثيراً خصوصاً في خطاباته الدينية التي أطلق عليها الخطابات البنّائية، أي التي تبني الإنسان. وهو يميزها من الخطابات التي توجه الإنسان أيديولوجياً بتعليمه عقائدياً، فهو يعزو هذا البناء إلى الله. (ملاحظة المترجم).

آلام الخطيئة الفردية بالطبع أعمق، وكان أصغر جزء من نفاد الصبر أكثر خطراً، إذا لم يقم بالانعطافة بشكل صحيح. قد ينغمس في حزنه في أحلك كآبة ـ وقد يكون ساخراً من مرشد روحي[1] على وشك الإعجاب بروحه العميقة، والتأثير القوي الذي يتركه الخير فيه ـ كما لو كان من الخير. وزوجته، حسناً، تشعر بتواضع عميق مقارنة مع رجل جاد كهذا ومقدس، والذي يمكنه أن يحزن على الخطيئة على هذا النحو. وربما يكون حديثه أيضاً مخيباً للآمال أكثر، وربما لن يقول: إنني لا أغفر لنفسي أبداً (كأنه قد غفر خطايا لنفسه سابقاً، يا له من تجديف!)، لا، إنه يقول إن اللّه لا يمكن أن يغفر له هذا أبداً. للأسف، وهذا محض احتيال. حزنه، قلقه، يأسه أنانيّ (مثل الفزع من الخطيئة، الذي يدفع الإنسان في بعض الأحيان بفزع في الخطيئة، لأنه حب الذات الذي يريد أن يفتخر بنفسه، أن يكون بلا خطيئة) ـ والتعزية هي أقل ما يحتاج إليه، لذلك فإن العدد الهائل من أسباب التعزية، التي يرتبها المرشدون الروحيون، تجعل المرض أسوأ.

---

(1) عادةً ما يكون المرشد الروحي هو القس.

(ب)

خطيئة اليأس من[1] غفران الذنوب (إساءة)

تعزيز الوعي عن الذات هو هنا معرفة المسيح، ذاتٌ أمام المسيح بشكل مباشر. جاء أولاً (في القسم الأول) الجهل حول امتلاك ذاتٍ أبدية، ثمّ معرفة امتلاك ذات يوجد فيها شيء أبدي. ثم يظهر (بالانتقال إلى القسم الثاني) أن هذا الاختلاف عائدٌ إلى الذات التي لديها تصورٌ إنساني عن نفسها، أو هدفها هو الإنسان. كان التناقض لهذا: ذاتٌ أمام اللّه بشكل مباشر، وهذا يشكّل أساس تعريف الخطيئة.

والآن تأتي ذاتٌ مباشرة أمام المسيح، ـ ذات لا تريد في اليأس أن تكون نفسها أو يائسة تريد أن تكون نفسها. لأن اليأس من غفران الذنوب لا بد أن يُعزى إمّا إلى هذه وإما إلى تلك الصيغة من اليأس، يأس الضعف أو يأس التحدي، يأس في الضعف يكون مستاءً ولا يجرؤ على الإيمان، ويأس التحدي الذي يكون مستاءً ولا يريد أن يؤمن. لكن الضعف والتحدي هنا هما النقيض لما يكونا عادة (حيث إن النقطة هنا لا تتعلق فقط بكون المرء على طبيعته، بل تتعلق بأن يكون المرءُ نفسه في تعريف أن يكون آثماً، أي نفسه في تحديد عدم كماله). وإلّا فإن الضعف هو: اليأس من عدم

(1) لاحظ الاختلاف بين اليأس على خطيئته واليأس من غفران الذنوب.

الرغبة في أن تكون نفسه. هنا يكون هذا تحدٍّ، لأن هذا هنا هو، في الواقع، ليس تحدياً ألا يريد أن يكون نفسه، ما يكونه ـ آثماً ـ ، ولهذا السبب يريد الاستغناء عن غفران الخطايا. عادةً ما يكون التحدي: اليأس من الرغبة في أن يكون ذاته. هذا هو الضعف هنا، اليأس من الرغبة في أن يكون نفسه، آثماً، على نحو بحيث لا تكون هناك مغفرة.

إن الذات التي تكون أمام المسيح مباشرة هي ذات يعززها اعتراف مفرط من اللّه، يعززها التأكيد الهائل لها، لأن اللّه أيضاً سمح لنفسه أن يولد، وأن يصبح إنساناً، يعاني ويموت من أجل هذه الذات. وكما ذكرنا سابقاً: كلما كان مفهوم اللّه أعظم، ازدادَتِ الذات. لذا من الصحيح هنا: كلما كان مفهوم المسيح أكبر، ازدادَتِ الذات. الذات نوعياً هي ما هو معيارها. أنْ يكون المسيح المقياس الذي صدّق عليه اللّه هو تعبير مؤيد عن أي حقيقة هائلة تملك الذات، لأنه في المسيح فقط يكون حقّاً أن اللّه هو هدف ومعيار الإنسان، أو معيار وهدف. ـ لكن كلما زادت الذات، زادت الخطيئة كثافةً.

هناك أيضاً جانبٌ آخر يمكن من خلاله إظهار تعزيز الخطيئة. الخطيئة كانت يأساً، والتعزيز كان يأساً على الخطيئة. لكن الآن يقدم اللّه المصالحة في غفران الخطايا. مع ذلك ما يزال المذنب ييأس، ويكتسب اليأس تعبيراً أكثر عمقاً؛ إنه يتعلق الآن بطريقة ما باللّه، ومع ذلك بالتحديد ما يزال بعيداً، فإنه يكون منغمراً بشدة أكبر في الخطيئة. عندما ييأس المذنب حول مغفرة الخطايا، يبدو الأمر تقريباً كما لو أنه مضى إلى اللّه وقال: «لا، ليس هناك أي مغفرة للخطايا، هذا أمر مستحيل»، يبدو هذا كأنه اشتباك بالأيدي. ولكن مع ذلك من أجل أن يكون قادراً على قول هذا، وأن يُسمع، على

المرء أن يبعد نفسه بشكل نوعي عن اللّه، ومن أجل مشاجرة على *نحو قريب*،[1] لا بد أن يكون *على مسافة*[2] ـ كم هو مبني بشكل مدهش عالم الروح سمعياً، وبشكل مدهش حُدِّدَت نسب مسافة. يجب أن يكون الإنسان بعيداً قدر الإمكان عن اللّه لكي تكون هذه الـ«لا» مسموعةً، التي مع ذلك تريد بطريقة ما إزالة اللّه. إن أكبر سخط تجاه اللّه يكون من أقصى مسافة، ولكي تتقدم نحو اللّه فعلى الإنسان أن يكون بعيداً، فإذا كان قريباً إليه فلن يستطيع التقدم، وإذا كان متقدماً فهذا يعني أنه بعيد، وهذا يعني أنه بعيد جداً. أيّ عجز بشري أمام اللّه مباشرة! عندما يندفع شخصٌ نحو إنسان رفيع المستوى، ربما يُرمَى بعيداً عنه كعقاب، لكن أن يكون مندفعاً نحو اللّه فيجب على المرء أن يبتعد جداً عنه.

غالباً ما تُفهَم هذه الخطيئة في الحياة بشكل خاطئ (اليأس حول مغفرة الذنوب)، خاصة منذ الوقت أُلغِيَ فيه الأخلاقي، ولذلك نادراً ما تسمع أو لا تسمع أبداً كلمة أخلاقية صادقة. يُكَرَّم اليأس من مغفرة الخطايا من الناحية الجمالية ـ الميتافيزيقية باعتباره علامة على طبيعة عميقة، وهو إلى حد كبير كما لو أن أحداً اعتبر عدم أدب الطفل علامة على طبيعة عميقة لديه. على العموم إنه أمر مثير، أي تشوش قد دْخل في مجال الدين منذ الوقت الذي أُلغِيَت «ينبغي لك» باعتبارها المبدأ التنظيمي الوحيد لعلاقة الإنسان باللّه. لا بد أن تكون «ينبغي لك» حاضرةً في كل تعريف ديني، في مكانها استُخدمت فكرة ـ اللّه أو مفهوم اللّه بشكل مغامر كمكوِّنات في أهمية الإنسان ليصبح ذاته مهمّاً أمام اللّه

(1) باللاتينية في الأصل Cominus.

(2) باللاتينية في الأصل Eminus.

مباشرة. مثلما يصبح الإنسان معتَداً بنفسه في السياسة بأن ينتمي إلى المعارضة، ويفضل في النهاية أن تأتي حكومة لمجرد أن يكون لديه شيء معارض، كذلك أيضاً لا يريد في نهاية المطاف الاستغناء عن اللّه ـ ليصبح فحسب هو نفسه أكثر أهمية بأن يكون المعارضة. وكل ما كان يُنظر إليه في الأيام الخوالي برعب كتعبير عن معارضة كافرة يُعتَبر الآن شيئاً عبقرياً وعلامة على طبيعة عميقة. «عليك أن تؤمن» كانت هي العبارة القديمة قصيرة وجيّدة، رصينة قدر الإمكان ـ في الوقت الحاضر علامة على العبقرية وطبيعة عميقة ألّا تكون قادراً على القيام بذلك. «عليك أن تؤمن بغفران الذنوب» كانت الكلمات، وكان التعليق الوحيد على ذلك هو «ستؤذي نفسك إن لم تستطع فعل ذلك، لأن المرء يمكنه أن يقوم بما يفترض أن يقوم به» ـ حالياً ألا تكون قادراً على الإيمان بهذا، هو أمر عبقري وعلامة على طبيعة عميقة. أية نتيجة رائعة حققتها المسيحانية! إن لم تُسمع كلمة واحدة عن المسيحية، فلن يُخدع البشر بهذا الشكل، الأمر الذي لم تَكُنه الوثنية أبداً، لكن ما دامت المفاهيم المسيحية تحوم على نحو غير مسيحي في الهواء، فقد استُخدمِت لأكثر وقاحة فادحة ـ إن لم يُسَأ استخدامها بطريقة أخرى ولكن بنفس القدر من الوقاحة. أليس من السخرية بما يكفي أن الشتيمة لم تكن مألوفة في الوثنية، بل على العكس كان لها حقاً مكانٌ في الواقع في المسيحانية، وذلك بدافع الرعب والخوف من الوثنية الغامضة التي غالباً ما ذكرت اسم اللّه بوقار كبير، بينما يكون اسم اللّه في المسيحيانية الكلمة التي تتكرر غالباً في الكلام اليومي، ومن الواضح أنها الكلمة التي يُفَكَّر فيها بأقل ما يكون، وتُستَخدَم على الأكثر بلا اهتمام، لأن الرّب الموحَى

المسكين (الذي بدلاً من إخفاء نفسه، كما تفعل الطبقة الراقية عادةً، كان مهملاً وغير حكيم بما يكفي ليُكشَف عنه) أصبح شخصاً مألوفاً للغاية بالنسبة إلى جميع السكان، الذين يؤدون من أجله خدمة كبيرة للغاية تتمثل في الذهاب بين الحين والآخر إلى الكنيسة، والتي يثني عليهم القس أيضاً، الذي يشكرهم نيابة عن اللّه على شرف الزيارة، ويكرمهم بلقب الورع، لكنه يغمز قليلاً بأولئك الذين لا يظهرون للّه شرف الذهاب إلى الكنيسة.

خطيئة اليأس حول مغفرة الذنوب *صادمة*.[1] كان اليهود على حق كامل[2] في أن يكونوا مهانين من المسيح، لأنه ادّعى مغفرة الذنوب. يتطلب الأمر درجة عالية من اللا روحانية (أي هذه التي عُثِر عليها على نحو مألوف في المسيحانية) لأنه إذا لم يكن المرء مؤمناً (وإذا كان مؤمناً فإنه في هذه الحالة يعتقد أن المسيح كان إلهاً) فلا يستاء من إنسان سيغفر الذنوب. وفي الموضع التالي، يتطلب الأمر انعداماً روحانيّاً فريداً مماثلاً، حتى لا يُساء إليه من فكرة أن الخطيئة يمكن أن تُغفر. بالنسبة إلى الفهم البشري هذا مستحيل ـ لكنني لا أثني لذلك على عدم قدرته على الإيمان به بوصفه عبقرياً، لأنه يجب الإيمان به.

في الوثنية لا يمكن، بالطبع، العثور على هذه الخطيئة. إذا كان بإمكان الوثني أن يكون لديه المفهوم الحقيقي عن الخطيئة (وهذا ما لم يستطعه حتى، ما دام يفتقر إلى مفهوم الإله)، لَمَا كان بإمكانه أن يذهب إلى أبعدَ من اليأس على خطيئته. في الواقع، أكثر من ذلك (وهنا يكمن كل التنازل

---

(1) يمكن أن تترجم أيضاً إلى «إساءة».

(2) انظر إنجيل متّى: 9، 2 ـ 3.

الذي يمكن للمرء أن يقدمه إلى فهمٍ وتفكيرٍ إنساني)، يجب الثناء على هذا الوثني الذي وصل بالفعل إلى نقطة اليأس ليس على العالم، ولا على نفسه بشكل عام، ولكن على خطيئته.(*)

(*) وسنلاحظ هنا أن اليأس على الخطيئة يُفهم ديالكتيكياً مشيراً إلى الإيمان. يجب أن لا ينسى وجود هذا الديالكتيك أبداً (حتى وإن كان هذا الكتاب يعالج اليأس فقط كمرض. في الواقع، هذا يعني ضمنيّاً أن اليأس أيضاً هو العامل الأول في الإيمان. عندما يكون الاتجاه، من ناحية أخرى، بعيداً عن الإيمان، بعيداً عن علاقة اللّه، فإنّ اليأس على الخطيئة هو خطيئة جديدة. في الحياة الروحية كل شيء ديالكتيكي. في الواقع، الإساءة كإمكانية مُلغاة هي عنصر في الإيمان، لكن الاستياء الموجه بعيداً عن الايمان هو خطيئة. إن الشخص الذي لا يمكن أبداً أن يهان من قبل المسيحية يمكن أن تحسب ضده. التحدث بهذه الطريقة يعني بالتأكيد أن الإساءة أمر جيد. ولكن ينبغي القول إن الإساءة هي خطيئة.

يتطلب الأمر، من الناحية الإنسانية، عمقاً وأحكاماً أخلاقية. وأبعد من ذلك لا يمكن لأيّ إنسان أن يصل إلى هذه الحال، ونادراً ما يصل أحد إلى هذا الحد. لكن، مسيحياً، تغيّر كلّ شيء، لأن عليك أن تؤمن بمغفرة الخطايا.

وما هو موقف المسيحانية بشأن مغفرة الذنوب؟ حسناً، حالة المسيحانية هي حقاً يأس على مغفرة الخطايا، ومع ذلك، يجب أن يُفهم هذا بمعنى أن المسيحانية متأخرة جداً إلى درجة أن حالتها لا تظهر أبداً على أنها كذلك.

وحتى وعي الخطيئة لم يُبلَغ، ويعرف الإنسان فقط أنواع الخطيئة التي تعرفها الوثنية أيضاً ـ وتستمر الحياة بسعادة وهناء في الاطمئنان الوثني. ولكن من خلال العيش في المسيحانية، يتجاوز المرء الوثنية ويمضي قدماً ويتوهم أن هذا الاطمئنان ـ لا يمكن، في الواقع، أن يكون الأمر بخلاف ذلك في المسيحانية ـ الوعي بمغفرة الذنوب، وهي فكرة أن رجال الدين يشجعون المصلين على الإيمان.[1]

كارثة المسيحانية الأساسية هي المسيحية الحقيقية، بحيث إن التعاليم حول اللّه ـ الإنسان (أرجو أن تلاحظ أن، بمعنًى مسيحي، هذا محميٌّ من قبل المفارقة وإمكانية الإساءة) يُجَدَّف بها من خلال الوعظ مراراً وتكراراً، بحيث إن الاختلاف النوعي بين اللّه والإنسان يُلغَى بشكلٍ حلولي[2] (أولًا عبر تأمل رفيع، من ثَمّ بصورة شعبوية في الشوارع والأزقة). لم يسبق أي عقيدة على الأرض أبداً أن جمعت حقاً اللّه والإنسان بشكل قريب للغاية مثل المسيحية، ولم يكن أيّ أحد قادر على ذلك أيضاً، لكن اللّه وحده قادر على فعل ذلك، وكل اختراع بشري يبقى مجرد حلم، وهماً غير مؤكد. لكن لم يحمِ أيُّ تعليم في أيّ وقت مضى أبداً نفسَه بشق الأنفس من أفظع أنواع التجديفات على اللّه، حتى إنه بعد أن قام اللّه بهذه الخطوة، التي يجب اتخاذها دون جدوى، كما لو أن الكل أُدمِجَ في شيء واحد: اللّه والإنسان ـ لم تحمِ أي تعاليم في أي وقت مضى أبداً نفسَها على هذا النحو مثل المسيحية، التي تحمي نفسها عن طريق الإساءة. ويلٌ للثرثارين، ويل للمفكرين السائبين، ويل، ويل للأتباع الذين تعلّموا منهم ومدحوهم!

---

(1) أي طائفة المتدينين. (المترجم)

(2) إشارة إلى مذهب الحلولية الذي يؤمن بوحدة الوجود.

إذا توجب الحفاظُ على النظام في الوجود ـ واللّه يريد ذلك، لأنه ليس إلهَ الفوضى ـ فلا بد أولاً وقبل كل شيء الحرص على أن كل إنسان يكون إنساناً فرداً، ويصبح واعياً بكونه إنساناً فرداً. لو يسمح للبشر أن يُدمجوا أولاً فيما يسميه أرسطو بمفهوم [مقولة] الحيوان: الحشد،[1] تصبح بذلك هذه الفكرة المجردة (بدلاً من كونها أقل من لا شيء، وحتى أقل من أتفه إنسان فرد) محسوبةً كونها شيئاً: عندها لن يمر وقت طويل قبل أن تصبح هذه الفكرة المجردة إلهاً. ومن ثَم منظوراً إليها *فلسفياً*، فإن العقيدة عن اللّه ـ الإنسان صحيحة. وكما تعلّمنا أنه في الدول يؤثر الجمهور في الملك، والصحف تؤثر في مجالس الوزراء، فقد اكتشفنا في النهاية بأن مجمل كل البشر يؤثرون في اللّه. وتسمى هذه بالعقيدة عن اللّه ـ الإنسان، أو أنِ اللّه والإنسان هما *نفس الشيء*.[2] من المفهوم أن بعض الفلاسفة الذين انخرطوا في نشر هذه التعاليم عن أرجحية الجيل على الفرد، يبتعدون باشمئزاز عندما تنحدر تعاليمهم إلى الحضيض جداً بحيث إن الغوغاء هم اللّه ـ الإنسان. لكن ينسى هؤلاء الفلاسفة أنه ـ مع ذلك ـ مذهبهم، ويتجاهلون حقيقة أنَ الأمر لم يكن أكثر صحة عندما افترضته النخبة من الطبقة الراقية، أو حلقة منتخبة من الفلاسفة كانوا التجسد.[3]

أي إن العقيدة عن اللّه ـ الإنسان جعلت المسيحيانية صفيقة. يبدو تقريباً كما لو أن اللّه كان ضعيفاً جداً. يبدو الأمر كما لو أن نفس الشي حصل له كما حصل لشخص مُحسن قدّم تنازلات كبيرة، من ثم يكافأ بالجحود. إن

---

(1) يمكن ترجمتها أيضاً الجمهور، الدهماء.

(2) باللاتينية في الأصل Idem per idem.

(3) هنا إشارة عن مفهوم التجسد أو الحلول الذي يتلخص في تجسد المسيح كابن الله.

اللّه هو الذي أبدع عقيدة اللّه ـ الإنسان، والآن غيّرتها المسيحانية بوقاحة وأقحمت القرابة إلى اللّه، بحيث إن التنازل الذي قدمه اللّه يعني عملياً ما يعنيه في هذه الأيام، أن ملكاً يضمن دستوراً أكثر استقلالاً ـ ونحن نعرف بالتأكيد ما يعنيه ذلك: «لقد أجبر على القيام بذلك». ويبدو كما لو أن اللّه كان محرَجاً، ويبدو كما لو أن الشخص الذكي كان على حق، لو أنه قال للّه: إنه ذنبك. لماذا ورّطت نفسك كثيراً مع الإنسان؟ ومع ذلك، لن يخطر على بال بشر ما أبداً، ولم يظهر في قلب إنسان ما أبداً، أنه يجب أن يكون هناك تكافؤ بين اللّه والإنسان. لقد كنت أنت نفسك الذي سمح بالوعظ بهذا ـ والآن تجني الثمرة.

ومع ذلك، فقد حَمَتِ المسيحيةُ نفسها منذ البداية. إنها تبدأ بعقيدة عن الخطيئة. مقولة الخطيئة هي مقولة الفرد. لا يمكن التفكير بالخطيئة بشكل تأملي على الإطلاق. الإنسان الفرد مشمول بالمفهوم، لا يمكن التفكير بالإنسان الفرد، بل فقط بالمفهوم «إنسان». ـ لهذا يدخل التأمل على الفور في مبدأ أرجحية الجيل على الفرد، لأنه لا نطالب بأن على التأمل أن يعترف بعجز المفهوم بما يتعلق بالواقع ـ لكن مثلما لا يمكننا التفكير بإنسان واحد، كذلك لا يمكن التفكير بمذنب واحد . ـ لكن مثلما لا يمكننا التفكير بإنسان واحد، كذلك لا يمكن التفكير في مذنب واحد، بينما نستطيع أن نفكر بالخطيئة (عندئذ يصبح نفياً)، لكن ليس في مذنب واحد. ومع ذلك، هذا هو بالتحديد علة عدم وجود جدية حول الخطيئة، إذا كان يجب التفكير فيها فقط. لأن الجديّة ببساطة هي: أنت وأنا مذنبان. الجديّة ليست الخطيئة بشكل عام، بل بالأحرى إن تأكيد الجديّة يقع على الخاطئ الذي هو الفرد. فيما يتعلق بـ«الإنسان الفرد»، فعلى التأمل، إذا

كان منسجماً، أن يستخف كثيراً حقاً من كونه فرداً، أو أن يكون ما لا يمكن التفكير فيه. يجب عليه، إذا كان مهتماً، القيام بأي شيء بهذا الاتجاه، أن يقول للفرد: أهذا شيء تريد أن تضيع وقتك فيه؟ انسَ ذلك! أن تكون إنساناً فرداً هو أن تكون لا شيئاً! ـ وبالتالي فأنت كل البشرية، *أنا أفكر، إذن أنا موجود.*[1] ولكن ربما تكون هذه كذبة أيضاً، ربما بدلًا من ذلك يكون الإنسان الفرد وأن تكون إنساناً فرداً هو الأعلى. افترض فقط أنه كذلك. لكن ليكون منسجماً تماماً توجب على التأمل أن يقول أيضاً: أن تكون مذنباً فرداً هو أن لا تكون شيئاً ما، إنه يقع ضمن المفهوم، فلا تضيّع الوقت فيه وما إلى ذلك. وماذا بعد؟ بدلاً من أن يكون المرءُ خاطئاً واحداً [ذا خطيئة فرداً]، أيفكّر في الخطيئة (تماماً كما يطلب من المرء أن يفكر بمفهوم «الإنسان» بدلاً من أن يكون إنساناً واحداً) وماذا بعد؟ هل يصبح الإنسان من خلال التفكير بالخطيئة نفسه «الخطيئة» ـ *أنا أفكر، إذن أنا موجود*؟ يا له من اقتراح رائع! ومع ذلك، ليس هناك حاجة إلى الخوف من أن يصبح المرء على هذا النحو خطيئة ـ خطيئة خالصة ـ لأنه لا يمكن التفكير بالخطيئة. حتى التأمل يتوجب عليه أن يقرّ هذا، بقدر ما تقع الخطيئة في الواقع خارج مفهوم «الخطيئة». لكن دعونا ننهِ هذا الجدال *على أساس الاعتراف*،[2] الصعوبة في الأساس شيء آخر. لا يأخذ التأمل بنظر الاعتبار فيما يتعلق بالخطيئة أن الأخلاق تكون متضمنة، ويشير دائماً إلى عكس التأمل ويقوم بالخطوات المعاكسة تماماً، لأن الأخلاقي لا يتجرد من الواقع، بل ينغمس في الواقع، ويعمل بشكل رئيسي بمساعدة

(1) باللاتنينة في الأصل *Cogito ergo sum*.

(2) باللاتينية في الأصل E concessis، والتي تعني بالدنماركية ud fra indrømmelse.

المتأمل الذي تجاهله واحتقره المتأمل، وهو مصطلح: الفرد. الخطيئة هي تحديد للفرد، إنها حماقة وخطيئة جديدة، أن تتظاهر كأنما لم يكن أي شيء أن تكون مذنباً فرداً ـ عندما يكون الفرد نفسه هو هذا المذنب الفرد. هنا تتدخل المسيحية وترسم علامة الصليب أمام التأمل، ويكون مستحيلاً بالنسبة إلى التأمل أن يخرج من هذه الصعوبة كما هي الحال بالنسبة إلى سفينة شراعية أن تبحر إلى الأمام بعكس الريح. إن جديّة الخطيئة هي واقعها في الفرد سواء كان أنت أو أنا. من الناحية التأملية، علينا أن نستبعد الفرد الواحد. لذلك، من الناحية التأملية، لا يمكننا التحدث عن الخطيئة إلا بشكل سطحي. جدلية الخطيئة تتعارض تماماً مع جدلية التأمل.

هنا تبدأ المسيحية، بعقيدة عن الخطيئة، وبذلك مع الفرد.(*) بالتأكيد إن المسيحية

(*) غالباً ما يساء استخدام العقيدة عن خطيئة الجنس البشري، إذ لم يجرِ الانتباه إلى أن الخطيئة، مهما كانت شائعة بالنسبة إلى الجميع، لا تجمع البشر في مفهوم مشترك، في جماعة أو شراكة (ليس أكثر من حشد من الموتى في المقبرة يشكل نوعاً من الجماعة)، بدلاً من ذلك فإنها تفرّق البشر إلى أفراد، وتثبت كل فرد باعتباره آثماً، وهو تفريق بمعنًى آخر في آنٍ يتجانس بشكل غائي باتجاه كمال الوجود. لم يُلاحَظ هذا، وبالتالي فقد اعتُبِرَ العرقُ البشري الساقط مصالحاً من قبل المسيح مرة واحدة وإلى الأبد. وهكذا أُثقل الله بتجريد يَدَّعي، كتجريدٍ، أن يكون له صلة أوثق بالله. لكن هذا زعم مزيف يجعل البشر وقحين فحسب. حين يشعر «الفرد» بالتحديد بقرابة مع الله (وهذا ما تعلم به المسيحية)، فإنه يشعر بثقل كامل به في

خوف ورعشة، ولا بد أنه يكتشف ـ كما لو لم يكن اكتشافاً قديماً ـ إمكانية الإساءة. لكن إذا كان الفرد من خلال التجريد يأتي إلى المجد، فالقضية تصبح أكثر سهولة وتُتَناوَل في الأساس بغرور. عندئذ لا يشعر الفرد بضغط اللّه الهائل الذي عبر الإذلال يضغط على الفرد إلى الأسفل بقدر ما يرفعه إلى الأعلى، وبمساهمته في التجريد يوهم الفرد نفسه بحصوله على كل شيء بشكل مؤكد. أن تكون إنساناً لا يشبه أن تكون حيواناً، حيث تكون العينة دائماً أقل من الأنواع. يتميز الإنسان ليس فقط بالكفاءات التي تُذكر عادة عن أنواع الحيوانات الأخرى، ولكن نوعياً، بواقع أن الفرد، الفرد المنفرد، هو أكثر من الأنواع. وهذا الحكم بدوره ديالكتيكي، ويدل على أن الفرد المنفرد آثم، لكن مرة أخرى، إنه كمال أن يكون الفرد المنفرد.

هي التي علّمتنا عن اللّه ـ الإنسان، وعن الشبه بين اللّه والإنسان، لكنها كاره كبير للفسوق أو الوقاحة الماجنة. بمساعدة العقيدة عن الخطيئة، والآثم الفرد، قام اللّه والمسيح مرة واحدة وإلى الأبد، مختلفين تماماً عن أي ملك، بتأمين أنفسهما ضد الأمة والشعب والحشد والجماهير، وما إلى ذلك، وأيضاً ضد كل مطالبة بدستور أكثر حرّية. كلّ تلك التجريدات غير موجودة على الإطلاق بالنسبة إلى اللّه، فبالنسبة إليه يعيش في المسيح فقط أفراد مذنبون ـ لكن بوسع اللّه أن يشمل كل شيء، وبإمكانه حتى رعاية العصافير.[1] اللّه، في الواقع، صديق للنظام، ولهذا الغرض هو نفسه موجود في كل فرد في كل نقطة، وفي كل لحظة (ما هو مدرج في الكتب

---

(1) إنجيل متّى: 10، 29.

المدرسية كأحد السمات التي يشار بها إلى اللّه، والتي يفكر البشر قليلاً بها بين الحين والآخر، لكن لا يحاولون التفكير حوله باستمرار)، إنه موجود في كل مكان. مفهومه ليس مثل مفهوم الإنسان، الذي يندرج الإنسان تحته باعتباره ذلك الذي ليس بوسعه أن يُدمج في المفهوم، فمفهومه يشمل كل شيء، وبمعنًى آخر ليس لديه أي مفهوم. اللّه لا يعين نفسه بالاختصار، إنه يفهم (يعي)[1] الواقع ذاته، وكل مفرداته، بالنسبة إليه لا يندرج الفرد تحت المفهوم.

عقيدة الخطيئة ـ أنك وأنا خُطاة ـ التعاليم التي تفرق «الحشد» بلا شرط أو قيد، وتؤكّد الآن جذرية الاختلاف النوعي بين اللّه والإنسان كما لم يؤكَّد سابقاً أبداً ـ لأن اللّه وحده بوسعه أن يفعل هذا. الخطيئة بالطبع: *أمام اللّه*. لا يختلف الإنسان بأي حال من الأحوال عن اللّه، حيث إنه، وهذا يعني كل إنسان، خاطئ [ذو خطيئة]، وهو «أمام اللّه»، حيث يُحتَفَظ بالأضداد معاً بمعنًى مزدوِج: لقد حُوفِظ عليها مجتمعةً، ولم يسمح لها أن تنفصل عن بعضها البعض، لكن من خلال جمعها تظهر الاختلافات بشكل أكثر حدّة، كما هي الحال تماماً عندما يُجمَع بين لونين معاً، *تظهر الأضداد بشكل أكثر وضوحاً من خلال التجاور*.[2] الخطيئة هي التنبؤ الوحيد عن الإنسان، الذي لا يمكن بأي حال ذكره عن اللّه، سواء عن *طريق النفي أو بطريقة التأكيد*.[3] أن يقال عن اللّه (بنفس معنى القول بأنه ليس محدوداً،

(1) باللاتينية في الأصل *comprehendit*، وتعني يفهم ويدرك وأيضاً يشمل.

(2) باللاتينية في الأصل *Opposite juxta se posita magis illucescunt*.

(3) انظر كيركگورد، المجلد 4، ص. 212.

Via negationis **ad negtelsens vej;** ***via eminetiæ*** **ad forstærkelsens vej.**

وبالتالي، من خلال النفي، أنه غير محدود) إنه ليس خاطئاً [ذا خطيئة]، هو تجديف.

كمذنب يكون الإنسان مفصولاً عن اللّه بأعظم هوّة فاغرة نوعية. وبدوره، بالتأكيد، يكون اللّه مفصولاً عن الإنسان بنفس أعظم هوّة فاغرة نوعية، عندما يغفر للمذنبين. وإذا كان هناك نوعٌ من التصويب العكسي يمكن نقل الإلهي إلى البشري، هناك أمر واحد لا يمكن للإنسان فيه إلى الأبد أن يصبح مثل اللّه: غفران الخطايا.

هنا يكمن إذن أقصى تركيز للإساءة، وقد وجد هذا ضرورياً من قبل العقيدة ذاتها التي علّمت التشابه بين اللّه والإنسان.

لكن الإساءة هي أعظم سمة حاسمة ممكنة للذاتية، للإنسان الفرد. بالتأكيد أن تفكر بالإساءة من دون التفكير بشخص مساء إليه ربما ليس مستحيلاً، مثل التفكير في عزف مزمار، عندما لا يكون هناك عازف مزمار،[1] لكن حتى التفكير نفسه يجب مع ذلك أن يعترف أن الإساءة هي مفهوم غير واقعي حتى أكثر من الحب، الذي لا يصبح واقعياً، حتى يكون هناك فرد واحد يكون مستاءً.

بالتالي تتعلق الإساءة بالفرد الواحد. وبهذا تبدأ المسيحية، أي بجعل كلّ إنسانٍ فرداً، فرداً مذنباً، وهنا يتركز كلّ ما يمكن أن تحشده الأرض والسماء من إمكانية الإساءة (واللّه وحده هو الذي يتحكم في ذلك) - هذه هي المسيحية. لذا تقول المسيحية لكل فرد: عليك أن تؤمن، أي: إما أن تُعَرض للإهانة وإما أن تؤمن. ولا كلمة واحدة إضافية، فليس هناك

---

(1) Platons Apoloi, 27, b; Platonis opera, IX, p. 43.

ما يُضاف. يقول اللّه في السماوات «الآن تكلمت»، «ستتكلم في الآخرة مرة أخرى». «يمكنك أن تفعل ما تشاء في أثناء هذا الوقت، لكنّ الدينونة قادمة».

الدينونة! نعم، لقد تعلمنا نحن البشر، طبعاً، التجربة تُعلم بالتأكيد، أنه عندما يكون هناك تمرد على متن سفينة أو في جيش، فإن المذنبين كثيرون جداً إلى درجة أنه ينبغي التخلي عن العقاب، وعندما يكون الجمهور، الجمهور المتعلم الراقي، أو الشعب، فإن الأمر ليس مجرد جريمة، بل حسب الجريدة (التي نثق بها كما نثق بالإنجيل والوحي) هي إرادة اللّه. كيف يمكن أن يكون هذا؟ إنه ينبع من حقيقة أن مفهوم الحكم يتوافق مع الفرد الواحد، والحكم لا يتم بشكل *جماعي*، فيمكن قتل الناس *جماعياً*، ويُرَشّ عليهم جماعياً، ويُدَاهَنون جماعياً - باختصار، يمكن معاملة الناس بطرق عديدة كقطيع ماشية، لكن لا يمكن الحكم على الناس كالماشية، لأن الماشية لا يمكن أن تخضع ليوم الدينونة، بغضّ النظر عن عدد الذين يُحكَم عليهم، فسيُحكَم على كل فرد.[1] الآن، عندما يكون كثيرون مذنبين، فمن غير الممكن إنسانياً فعله، ولهذا تُخُلِّي عن الأمر برُمّته، ومن الواضح أنه ليس هناك حكم: فهناك كثيرون كي تجري مقاضاتهم، ومن المستحيل الحصول عليهم أو ترتيبهم كأفراد فرادى، ولهذا يجب التخلي عن الحُكم.

ولمّا كنّا في عصر التنوير، حيث يجد المرء كل المفاهيم عن اللّه المشبِّهة [الأنثروبومورفية][2] والمشخِّصة غير مناسبة، فما يزال غير ملائم

---

(1) هذا هو السبب في أن اللهّ هو «القاضي»، فبالنسبة إليه لا يوجد أي جمهور، بل أفراد فقط.

(2) إشارة إلى المذهب التشبيهي الذي يفيد بتشبيه اللهّ في ذاته أو في صفاته، على مثال الإنسان. انظر مراد وهبة، المعجم الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016، ص. 214.

التفكير باللّه كقاضٍ مشابه لقاضي مقاطعة عادية، أو القاضي العام الذي لا يمكنه تمرير مثل هذه القضية الشاملة ـ والنتيجة هي أنه سيكون مثل هذه الحال في الأبدية. لذلك دعونا نتضامن بعضنا مع البعض الآخر، ونتأكد أن القسس يعظون بهذه الطريقة. وإذا كان هناك فردٌ تجرَّأ أن يتحدث بشكل مختلف، فرد كان أحمقَ بما يكفي لكي يجعل حياته قلقة ومسؤولة في خوف ورعشة، ثم بالإضافة إلى ذلك، يجعل نفسه مصدر إزعاج للآخرين: عندئذ لنحمِ أنفسنا باعتباره مجنوناً أو بقتله إذا لزم الأمر. إذا فعل الكثير منا ذلك فلن يكون هناك أي ظلم. هذا هراء وقديم، أي مفهوم أن كثيرين يمكن أن يرتكبوا الظلم، فما تقوم به الأكثرية هي من إرادة اللّه. بإزاء هذه الحكمة ـ التي نعرفها من التجربة، لأننا لسنا شباناً عديمي الخبرة، لا نطلق كلمات عفوية، نحن نتحدث كرجال خبرة ـ بإزاء هذه الحكمة انحنى حتى هذا اليوم كل البشر، ملوكاً وأباطرةً وأصحاب الفخامات، وقد تمت بمساعدة هذه الحكمة كل حيواناتنا حتى الآن: وهكذا يمكنك أن تراهن على أن الإله سيتعلم الركوع أيضاً. إنها مجرد مسألة استمرار في أن نكون كثيرين، أكثرية جيدة تتعاضد مع بعضها البعض إذا فعلنا هذا، فنحن محميون من حكم الأبدية.

حسناً، من المحتمل أن يكونوا محميين، إذا لم يكن من المفترض أن يصبحوا أفراداً أولاً في الأبدية. لكنهم كانوا ويكونون أمام اللّه على الدوام أفراداً، هذا الذي يجلس في خزانة زجاجية لم يكن محرجاً مثل كلّ إنسان في شفافيته أمام اللّه. هذه هي علاقة الضمير. بمساعدة الضمير يكون الحال مرتباً على هذا النحو، بحيث يتبع التقرير حالاً مع كل ذنب، وإن المذنب نفسه هو الذي يكتبه. لكنه يكتب بحبر خفي، ويصبح لذلك

مقروءاً بوضوح أولاً، عندما يعرض للنور في الأبدية، بينما تدقق الأبدية الضمائر. في الأساس، يصل كل شخص في الأبدية على نحو، بحيث إنه يجلب معه ويسلم تقريره الأكثر دقة عن أي أدنى تفاهة ارتكبها أو أغفلها. لذلك، يمكن لطفل أن يصمد أمام حُكمٍ في الأبدية، ليس هناك أي شيء حقاً يمكن لشخص ثالث القيام به، كل شيء، حتى أكثر كلمة تافهة منطوقة، يكون مُنظّماً. يحدث للفرد المذنب، الذي هو في رحلة خلال الحياة إلى الأبدية، مثلما حدث للقاتل الذي هرب من مكان الجريمة ـ وجريمته ـ بالقطار السريع، للأسف، تماماً أسفل الحافلة التي جلس فيها، انطلقت البرقية الإلكترومغناطيسية حاملة أوصافه وأمر إلقاء القبض عليه في أول محطة. وعندما وصل إلى المحطة وخرج من عربة القطار، اعتُقِل ـ لقد جلب شخصياً بطريقة ما قرار إلقاء القبض معه.[1]

لذلك، اليأس على غفران الخطايا هو إساءة. والإساءة هي تعزيز للخطيئة. عادةً بالكاد يفكر الناس بهذا، وعادةً لا يربطون الإساءة بالخطيئة التي لا يتحدثون عنها، بل يتحدثون بدلاً عن ذلك عن الخطايا التي لا تجد فيها الإساءة مكاناً. أقل من ذلك يَعُدّون الإساءة كتعزيز للخطيئة. وهذا ناتج عن تكوين، بشكل مسيحي، تعارض ليس بين الخطيئة/ الإيمان، بل بين الخطيئة/ الفضيلة.

(1) الترجمة الحرفية هي «جلب معه التبليغ».

(ج)

خطيئة التخلي عن المسيحية بشكل إيجابي،[1] وإعلان كونها غير حقيقية

هذه خطيئة ضد الروح القدس. النفس هنا الأكثر يأساً، لا تنبذ كل المسيحية فحسب، بل تحولها إلى كذب وباطل - فأيّ فكرة يائسة للغاية لا بد أن تملكها عن نفسها!

تظهر قدرة الخطيئة عندما يُنظر إليها على أنها حرب بين اللّه والإنسان تُغَيَّر فيها التكتيكات. القدرة هي ارتقاء من الدفاع إلى الهجوم. الخطيئة هي اليأس، هنا المعركة عن طريق المراوغة،[2] ثم جاء اليأس على خطيئته، هنا المعركة، مرة أخرى، عن طريق المراوغة أو تعزيز موضع المرء المتراجع، لكن دائماً يكون في *تراجع*.[3] الآن غُيِّر التكتيك، على الرغم من أن الخطيئة تتعمق أكثر وأكثر في نفسها، وبالتالي تبتعد أكثر، غير أنها تقترب بمعنًى آخر وتصبح نفسها أكثر وأكثر بشكل حازم. اليأس من مغفرة الذنوب هو موقف محدد مباشرة ضد عرض لرحمة اللّه. الخطيئة ليست تراجعاً فحسب، وليست مجرد عمل دفاعي. لكن خطيئة نبذ المسيحية على أنها

---

(1) باللاتينية في الأصل *Modo ponendo*.

(2) باللاتينية في الأصل *Eviterende*.

(3) باللاتينية في الأصل *pedem referens*.

غير حقيقية وكذبة هي حرب هجومية. ومع ذلك، تقرّ كلّ الأشكال السابقة بأن الخصم هو الأقوى. لكن الآن الخطيئة تهاجم.

الخطيئة ضد الروح القدس هي الشكل الإيجابي للإساءة.

العقيدة المسيحية هي تعاليم عن اللّه ـ الإنسان، عن القرابة بين اللّه والإنسان، لكن تذكّر أن إمكانية الإساءة هي، إذا جاز لي القول على هذا النحو، الضمانة التي يحمي بها اللّه نفسه من أن يتمكن الإنسان من الاقتراب إلى حد بعيد منه. إمكانية الإساءة هي العنصر الديالكتيكي في كل ما هو مسيحي. فلو أُزِيلَت منها، فلا تكون المسيحية وثنية فحسب، بل تكون شيئاً خيالياً جداً إلى درجة أن الوثنية يجب أن تعلن أنها هراء. أن تكون قريباً جداً من اللّه، كما تُعلّم المسيحية أن الإنسان يمكن أن يأتي إليه، ويجرؤ على القدوم إليه، ويجب أن يفضي إليه في المسيح، لم يخطر على بال أيّ إنسان أبداً. وإذا توجب فهم هذا الآن بشكل مباشر، وببساطة تماماً، ومن دون أدنى تحفظ، وبطريقة جذلة ومختالة تماماً، فإن المسيحية ـ إذا شاء المرء أن يسمي رواية الوثنية عن الآلهة بالجنون البشري ـ هي اختراع لإله مجنون. يجب على الإنسان الذي ما يزال يحافظ على عقله أن يحكم على أن إلهاً فاقد الفهم هو وحده القادر على اختلاق مثل هذه التعاليم. سيصبح الإله المتجسد، إذا كان الإنسان على نحوٍ من دون مزيد من اللغط رفيقاً له، نظيراً للأمير هنري عند شكسبير.

اللّه والإنسان نوعيتان [كيفيّتان]، بينهما يوجد اختلاف نوعي لا محدود. كل تعاليم تتجاهل هذا الاختلاف هي من وجهة نظر إنسانية خَبَل ـ ومفهومة إلهياً فإنها تجديف باللّه. في الوثنية جعل الإنسان اللّه إنساناً (إنسان ـ إله) ـ في المسيحية جعل اللّه نفسه إنساناً (إله ـ إنسان) ـ لكن

في الحب اللا متناهي لنعمته الرحيمة، وضع مع ذلك شرطاً واحداً: ليس بوسعه أن يفعل غير ذلك. هذا هو بالضبط حزن المسيح، «ليس بوسعه أن يفعل غير ذلك». يمكنه أن يذلّ نفسه، ويتخذ هيأة خادم، ويعاني، ويموت من أجل البشر، ويدعو الجميع أن يأتوا إليه، ويضحي بكل يوم من حياته، وكل ساعة من اليوم، ويضحي بحياته ـ لكنه لا يستطيع إزالة إمكانية الإساءة. يا له من فعل حب نادر، يا له من حزن الحب الذي لا يسبر غوره، والذي لا يستطيع حتى اللّه نفسه أن يزيل إمكانية أن هذا الفعل للحب يعكس نفسه إلى شخص ما ويصبح الأشد تعاسة ـ وهو أمر لا يريد اللّه القيام به، بمعنًى آخر، ولا بوسعه أن يريد ـ ولكن حتى لو أنه أراد، فإنه لا يستطيع القيام بالمستحيل، أن يصبح فعل الحب هذا للإنسان على عكس ذلك تماماً، إلى أقصى درجات البؤس! لأن أكبر بؤس بشري ممكن، أكثر حتى من الخطيئة، هو أن تستاء من المسيح وتستمر في الامتعاض، ولا يستطيع المسيح، ولا بوسع «الحب» أن يجعل هذا مستحيلاً. انظر، لهذا السبب يقول: «وطوبى لمن لا يسيء إلي».[1] أكثر من هذا لا يستطيع هو أن يفعل. ولهذا يمكنه ـ وهذا ممكن ـ أن يجعل عن طريق حبه إنساناً بائساً للغاية كما لا يمكن أن يكون إنسانٌ كذلك ذات مرة أبداً. يا له من تناقض لا يُسبر غوره في الحب! ومع ذلك، بسبب الحب، لا يملك قلباً ليُقلع عن إكمال عمل الحب هذا ـ للأسف! على الرغم من أنه يجعل بذلك إنساناً أكثر بؤساً مما كان يمكن أن يكون عليه في أيّ وقت آخر!

---

(1) تختلف ترجمات الكتاب المقدس للعبارة أعلاه، فبعضها يترجمها «وطوبى لمن لا أكون له حَجَر عَثرَة». كما نرى هنا تترجم عبارة «الإساءة» إلى عثرة، بمعنًى إنجيلي، ومع ذلك ينوّع كيركگورد في استخدامه اللغوي للمفردة. انظر الكتاب المقدس، العهد الجديد، متّى: 6، 11.

لنتحدث عن هذا بطريقة إنسانية تماماً. كم هو مثير للشفقة الإنسان الذي شعر بالحاجة بدافع الحب للتضحية بكل شيء من أجل الحب، وبالتالي لم يكن قادراً على فعل ذلك! لكن افترض أنه اكتشف أن هذا بالضبط تضحيته بدافع الحب، كان من الممكن أن تصبح لإنسان آخر، للمحبوب، أكبر مصيبة: ماذا بعد ذلك؟ إما أن الحب قد فقد مرونته فيه ـ من كونه قوة حياة سوف تغرق في التفكير في مشاعر حزينة انطوائية، سيتخلى عن الحب، ولن يجرؤ على القيام بفعل الحب هذا، حتى إنه ينهار، ليس تحت الفعل، بل تحت وطأة هذه الإمكانية. لأن الوزن يصبح أثقل بلا حدود عندما يوضَع في نهاية قضيب، ويتوجب على الشخص الذي يرفعه أن يمسك بالطرف الآخر، لذلك يصبح كل فعل أكثر وطأة بلا نهاية عندما يصبح ديالكتيكياً، وأثقل عندما يصبح متعاطفاً ـ ديالكتيكياً، بحيث إن ما يشجع الحبُّ على فعله للحبيب، يبدو مرة أخرى، بمعنًى آخر، أنه يثنيه عن القيام به. ـ أو إن الحب سينتصر، وإنه سيغامر بهذا الفعل بدافع الحب. أوه، لكن في بهجة الحب (كما هو الحب دائماً مبتهجاً، خاصة عندما يضحي بكل شيء)، ما يزال هناك حزنٌ عميق ـ لأنه كان ممكناً بالفعل! انظر، لهذا سيكمل عمل حبه، وسيقوم بالتضحية (التي ابتهج من جانبه بها) ولكن ليس من دون دموع: تحوم هناك فوق هذا، ما سأسميه تاريخ لوحة تاريخية للحياة الجوّانية ـ الإمكانية المظلمة. ومع ذلك، لو أنها لم تحُم فوقها، لما كان عمله هو فعل حب حقيقي. ـ أوه، يا صديقي، كيف حُوكمت في الحياة! أجْهِدْ عقلك، أزِحْ كل غطاء في صدرك، واكْشِف عن أحشاء الإحساس، اهدِم كلّ حصن يفصلك عن الذي تقرأ عنه، ثم اقرأ شكسبير ـ وسوف ترتعب من الصدامات. لكن حتى شكسبير يبدو أنه

جفل من الصدامات الدينية في الأساس. ربما لا يمكن التعبير عن ذلك، في الواقع، إلا بلغة الآلهة فقط. ولا يستطيع أحد أن يتحدث هذه اللغة، لأنه كما قال يونانيٌّ مسبّقاً بشكل رائع: من البشر يتعلم الإنسان الكلام، ومن الآلهة يتعلم أن يصمت.

اختلافٌ نوعيّ لا نهائي بين اللّه والإنسان يشكل إمكانية الإساءة[1] التي لا يمكن إزالتها. بدافع الحب يصبح اللّه إنساناً، فهو يقول: هنا ترى ماذا يعني أن تكون إنساناً، لكنه يضيف: أوه، انتبه، لأنني أنا أيضاً إله ـ طوبى لمن لا يعثر بي.[2] فهو كإنسان يتخذ شخصية خادم فقير، ويظهر ما يعنيه أن تكون إنساناً غير مهم، حتى لا يشعر أحد بأنه مستبعد أو يعتقد أن مكانة الإنسان وشعبيته بين البشر هي التي تقرب أحداً إلى اللّه. كلا، إنه إنسان لا قيمة له. يقول: انظر هنا بهذه الطريق، واعرف على وجه اليقين ماذا يعني أن تكون إنساناً، أوه، لكن انتبه، لأنني أنا أيضاً إله ـ طوبى لمن لا يعثر بي. أو العكس: الأب وأنا واحد، ومع ذلك أنا هذا الفرد، الإنسان البسيط، الذي لا قيمة له، المنبوذ، المستسلم إلى عنف البشر[3] ـ طوبى لمن لا يعثر بي. أنا، هذا الإنسان الذي لا قيمة له، أنا الذي يجعل الصمّ يسمعون، والعميان يبصرون، والعُرجُ يمشونَ، والبُرص يَبرَؤون، والموتى يقومون ـ وطوبى لمن لا أكون له حجر عثرة.[4]

لذلك، متحملاً كل المسؤولية، أجرؤ على القول إن هذه الكلمات:

---

(1) هنا العثرة، التي هي الإساءة بمعنًى آخر، وقد جاءت باستخدام إنجيلي.
(2) انظر الإنجيل.
(3) انظر الكتاب المقدس، العهد الجديد، مرقس: 41، 14.
(4) العهد الجديد، متى: 11، 5 ـ 6.

طوبى لمن لا يعثر بي، تنتمي إلى الوعظ عن المسيح، وإن لم يكن بنفس الطريقة في كلمات التأسيس في العشاء الرباني، ولكن مثل الكلمات: «فليختبر كل إنسان نفسه»،[1] هذه كلمات المسيح نفسه،[2] ويجب إعلانها مراراً وتكراراً، خاصة في المسيحانية، وتُكَرر، وتقال لكل فرد على حدة. حيث(*) لا يُنطَق.

(*) وهذه الحالة الآن في كلّ مكان تقريباً في المسيحانية، التي كما تعتقد إما أن تتجاهل تماماً أن المسيح ذاته هو الذي كرر ذلك، وحذّر من الأعماق من الإساءة،[3] وحتى نهاية حياته،[4] حتى رسله المخلصون الذين تبعوه منذ البداية وتركوا من أجله كل شيء، أو يعتبرون هذا ضمنياً كنوع من خوف مبالغ به من جهة المسيح، ما دام أن تجربة آلاف وآلاف تؤكد أنه يمكن للمرء أن يؤمن بالمسيح من دون ملاحظة أقل أثر لإمكانية الإساءة. لكن قد يكون هذا خطأ، أنه سيظهر للعيان بلا شك عندما تقاضي إمكانيةُ الإساءةِ المسيحانيةَ.

حيثما لم تُنطَق هذه الكلمات أيضاً، أو، في أيّ حال، حيثما لا يُختَرَق عرض المسيحية في كل نقطة من هذا الفكر، فالمسيحية هي تجديف.

---

(1) العهد الجديد، بولس، الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس: 11، 28.

(2) هذه الكلمات ليست كلمات المسيح بل كلمات بولس. ويقول: إن خطأ كيركگورد هنا يتعلق بأن بولس كما يبدو قد ردد علاوة على ذلك العبارة في كلمات التأسيس في العشاء الرباني. (ملاحظة المحرر)

(3) أو السخط.

(4) إنجيل متى: 26، 31.

لأنه من دون حارس شخصي وخدم يستطيعون تهيئة الطريق له وتوعية الناس بمن هو قادم، مشى المسيح على الأرض هنا بهيأة خادم مسكين. لكن إمكانية الإساءة (أي أسيء له في حبه!) التي حمته وتحميه، تثبت هوّة عميقة بينه وبين هذا الذي كان الأقرب إليه ووقف الأقرب إليه.

وبالتحديد هذا الذي لا يسخط يعبد بإيمانٍ. لكن العبادة التي تكون تعبيراً عن الإيمان، هي للتعبير عن أن الهوة الفاغرة النوعية اللا نهائية بينهما أُكِّدَت، لأن إمكانية الإساءة في الإيمان هي مرة أخرى عنصرٌ ديالكتيكي.(*)

(*) هنا مهمة صغيرة للمراقبين. إذا افترضنا أن جميع القسس هنا وفي خارج البلاد، الذين يلقون ويكتبون المواعظ، هم مسيحيون مؤمنون، كيف يمكن أن نوضح أن المرء لا يسمع ولا يقرأ أبداً هذا الدعاء الذي هو مناسب جداً خاصة في عصرنا: «يا رب السماء، أشكرك، إنك لم تطلب من إنسان أن يفهم المسيحية، لأنه إذا كان ذلك مطلوباً لكُنتُ أنا أكثر تعاسة من الجميع. كلما حاولت أن أفهمها، بَدَتْ لي غير مفهومة، واكتشفت إمكانية العثرة فقط. لذلك أشكرك لأنك تطلب الإيمان وحده، وأنا أصلي لك أن تزيده لي كلياً». أما بالنسبة إلى الأرثوذكسية، فإن هذه الصلاة ستكون صحيحة تماماً، وبالنظر إلى صدق من صلّاها، فستكون أيضاً التهكم الصحيح على كل التأمل. لكنني أتساءل عمّا إذا كان الإيمان موجوداً على الأرض![1]

---

(1) انظر العهد الجديد، لوقا: 18، 8.

لكن نوع الاستياء الذي نتحدث عنه هنا يكون في *شكل إيجابي*؛[1] إنه يؤكد أن المسيحية غير حقيقية وأكذوبة، وبالتالي يقول بدوره نفس الشيء عن المسيح.

لكي نوضح هذا النوع من الاستياء من الأفضل أن نبحث كل أنواع الإساءة المختلفة، والتي تتعلق مبدئياً بالمفارقة (المسيح)، وهكذا تنشأ ثانية مع كل تحديد للمسيحي، لأن كلّ علاقة من هذا القبيل بالمسيح تضع المسيح في الاعتبار.

أدنى شكل من أشكال الإساءة وأكثر براءة هو، من الناحية الإنسانية، أن ندع موضوع المسيح برمته بلا حسم، ونستنتج على هذا النحو التالي: لا أسمح لنفسي بأن أتخذ أي قرار حول هذا. لا أُومن، لكنني لا أقرر أيّ شيء. إن هذا شكل من أشكال الإساءة يتجنبه معظم الناس. القضية هي أننا قد نسينا تماماً المسيحية: «يجب عليك»، وهذا هو السبب أنهم لا يدركون أن كونهم في وضع الحياد بشأن المسيح هو إهانة. إن إعلان المسيحية لك يعني أنه يجب أن يكون لديك رأي في المسيح، أنه موجود أو حقيقة أنه كائن،[2] وأنه قد كان موجوداً هو قرار عن الوجود بأكمله. إذا بُشِّر بالمسيح إليك فإنها إهانة أن تقول: لا أريد أن يكون لي أي رأي حول هذا الأمر.

ومع ذلك، يجب فهم هذا في هذه الأوقات مع بعض التحفظات، عندما يكون وعظ بالمسيحية عادياً كما هو. يعيش هناك، بلا شك، آلاف من الذين سمعوا التبشير بالمسيحية اليوم ولم يسمعوا شيئاً أبداً عن هذه

---

(1) باللاتينية في الأصل Modo pondendo.

(2) هنا بمعنى تأكيد وجوده الحقيقي.

الـ«يجب». لكن هذا الذي سمعها، حين يقول عندئذ: لن يكون لي رأي في ذلك، فإنه ساخط. إنه ينكر ألوهية المسيح ذاتها، عندما ينكر أن له الحق في أن يظلب من إنسان أن عليه أن يكون له رأي. ليس من المفيد أن يقول مثل هذا الإنسان: «أنا لا أقول أي شيء، لا «نعم» ولا «لا» عن المسيح، ومن ثَم يكون السؤال التالي: أليس لديك رأي فيما إذا كان يجب أن يكون لديك رأي فيه أم لا؟ فإن أجاب عن ذلك: نعم، فإنه يأسر نفسه، وإن أجاب: لا، فستحكم على أية حال المسيحية عليه أنه يجب عليه أن يكون له رأي حول ذلك، وبالتالي عن المسيح، بحيث لا ينبغي لأي إنسان أن يفترض ترك حياة المسيح موقوفة كفضيلة. عندما سمح اللّه لنفسه أن يولد ويصبح بشراً، فهذه ليست نزوة عقيمة، شيئاً يختلقه لمجرد القيام بشيء، ربما لكي يضع حداً للملل الذي قيل بصراحة إنه يجب أن يكون متورطاً في كونه إلهاً ـ وهو ليس من أجل أن يمرّ بمغامرة. لا، عندما يقوم اللّه بهذا فإن تلك الواقعة هي جديّة الوجود. وبالمقابل فإن الجديّة في هذه الجديّة هي: أنه يتوجب على كل فرد أن يكون له رأي حول هذا الأمر. عندما يزور ملك مدينة في مقاطعة، فإنه يعتبرها إهانة إذا لم يقصّر مسؤول البلدة من دون عذر مشروع بتكريمه، لكن ماذا عساه أن يحكم إذا أراد أحد أن يتجاهل الحقيقة برمتها، أن الملك كان في المدينة، ولعب بهذه المناسبة دور المواطن العادي الذي يقول«لا أبالي بجلالته وبالقانون الملكي»؟ وعلى هذا النحو أيضاً، عندما يرضى اللّه أن يصبح بشراً ـ فإنه يرضي أحداً ما (وما هو الموظف أمام الملك يكون كل فرد أمام اللّه) ليقول عن ذلك: حسناً، هذا شيء لا أهتم أن يكون لي حوله أي رأي. هكذا يتحدث المرء بشكل مدّع عما يتجاهل أساساً: وبالتالي يتجاهل اللّه بشكل مدّعٍ.

الشكل الثاني من الإساءة هو سلبي، لكن في شكل المتأثر به، في شكل معاناة. إنه يشعر بالتأكيد أنه لا يمكنه تجاهل المسيح، وغير قادر على ترك المسيح معلَّقاً ومن ثم يكون مشغولاً في الحياة. لكن لا يستطيع أن يؤمن، ويستمر في التحديق بشكل ثابت وحصري إلى نقطة وحيدة، إلى المفارقة. تُكرم المسيحية بمقدار ما تعبر عن أن السؤال: ما رأيك في المسيح؟ هو في الواقع السؤال الأكثر حسماً. مثل هذا الشخص المُهان يعيش عندها مثل الظل، حياته محطمة لأنه في أعمق أعماقه مشغول باستمرار بهذا القرار. وعلى هذا النحو يعبر عن حقيقة المسيحية (مثل معاناة عاشق تعيس في علاقته بالمحبوبة).

آخر شكل للإساءة، الذي نتحدث عنه هنا، هو الشكل الإيجابي. إنه يعلن أن المسيحية غير حقيقية، أكذوبة. إنه ينكر المسيح (أنه كان موجوداً، وأنه الشخص الذي قال إنه موجود)، إما بشكل دوسيتيكي[1] وعقلاني، بحيث لا يصبح المسيح كائناً بشرياً فردياً، بل يبدو أنه موجود فحسب أو يصبح مجرد إنسان فرد، وبالتالي إما أن يصبح رواية خيالية، أسطورة بشكل دوسيتيكي لا تقتضي الواقع، أو أنه يصبح واقعاً بشكل عقلاني لا يطالب بأن يكون إلهاً. بالطبع، في هذا الإنكار للمسيح حيث تكمن المفارقة، يكون بدروه إنكاراً لكل ما هو مسيحي في الأساس: الخطيئة، مغفرة الخطايا، إلخ.

---

(1) فرقة مسيحية غنوصية، وهي تقوم على تعاليم أن جسد المسيح ليس له وجود، إنه مجرد جلد. لأن الجسد مادي، والمادة ليس لها وجود حقيقي في اعتقادهم.

هذا الشكل من الإساءة هو خطيئة ضد الروح القدس. كما قال اليهود عن المسيح،[1] إنه طرد الشياطين بمساعدة الشياطين، وبهذا تجعل هذه الإساءة المسيح ابتكاراً من الشيطان.

هذه الإساءة هي أعلى تعزيز للخطيئة، وهي حقيقة عادةً ما تُتَجاهَل لأن التناقضات لم تُصَغ من وجهة نظر المسيحية بين الخطيئة ـ والإيمان.

طُوِّر هذا التناقض بين (الخطيئة ـ الإيمان) خلال هذا الكتاب بأكمله، وقد قَدّم في البداية في الجزء الأول أ، أ، صيغة للحالة التي لا يوجد فيها اليأس على الإطلاق: في أن تربط نفسها بنفسها، وفي الرغبة في أن تكون نفسها، تستقر الذات بشفافية في القوة التي أنشأتها. وهذه الصيغة بدروها، والتي يُذَكَّر بها مراراً وتكراراً، هي تعريف الإيمان.

انتُهي من ترجمة الكتاب في 15.9.2020

المترجم: قحطان جاسم

(1) انظر إنجيل متّى: 12، 24. وجاء فيه: كما قال اليهود: «إن هذا الذي يطرد الشياطين إلا بعل زبول سيد الشياطين».